

# الفصل الأول واو العطف

أولاً: معنى الجمع.

ثانياً: واو العطف ودلالة الترتيب.

ثالثاً: معنى المشاركة في واو العطف.



## واو العطف

تنبثق معاني واو العطف من خلال تضافر الواو مع التركيب، ولما كان العطف في اللغة يعني الميل أو الرجوع « فعطف يعطف عطفًا : انصرف، ورجل عطوف وعطاف : يحمي المنهزمين وعطف عليه يعطف عطفًا : رجع عليه بما يكرهه أو له بما يريد، وتعطف عليه : وصله وبره، وتعطف على رَجْمِهِ : رق لها، ورجل عاطف وعطوف : عائد بفضلِه حَسَنُ الخَلْقِ »<sup>(1)</sup>.

لما كان العطف يعني ذلك في اللغة، كانت واو العطف أداة ربط في الجملة، وهي « أصل حروف العطف »<sup>(2)</sup> ومعناها مطلق الجمع<sup>(3)</sup>.

يقول سيبويه : « وإنما جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول وتجمعهما، وليس فيه دليل على أن أحدهما قبل الآخر »<sup>(4)</sup>.

ويرى السيرافي : أن جملة الحروف تجي لمعان ... أولها : الإشراف بين اسمين أو فعلين، وذلك حروف العطف التي تدخل الثاني في إعراب الأول ومعناه، وهي الواو والفاء، وثم<sup>(5)</sup>.

« ومعنى العطف أيضًا الاشتراك في تأثير العامل، وأصله الميل، كأنه أميل به إلى حيز الأول، وقيل له : نسق؛ لمساواته الأول في الإعراب . يقال : ثغر نسق :

(1) لسان العرب لابن منظور ط بولاق 11/155.

(2) المقتضب للمبرد 2/46.

(3) معاني الحروف للرماني (أبو الحسن علي بن عيسى النحوي) تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي

ص 59 دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة 1973 م . مغني اللبيب 2/354، حروف المعاني،

عبد الحي حسن كمال ص 73.

(4) الكتاب لسيبويه 1/218، 2/2304.

(5) شرح كتاب سيبويه للسيرافي 1/13 (مخطوطة دار الكتب).

إذا تساوت أسنانه، وكلام نسق: إذا كان على نظام واحد<sup>(1)</sup>.  
مما سبق يمكن القول بأن دراسة واو العطف وعانيها يمكن أن تكون من  
خلال معنى الجمع ومعنى المشاركة، وبينهما قضية الترتيب في واو العطف.



---

(1) شرح المفصل لابن يعيش 74/3.

### أولاً : معنى الجمع

المقصود بمعنى الجمع هنا هو : ضم الاسم إلى الاسم بواو العطف ليصيرا اسماً واحداً ، أو كالاسم الواحد<sup>(1)</sup>.

وهو يختلف عن معنى الجمع في واو (المسلمون)<sup>(2)</sup>.

وهو جزء من معنى الجمع العام الذي تفيدته الواو بكل معانيها والذي قد يكون في واو الاستئناف أو واو الحال أو واو المفعول معه ؛ إذ إن معنى الجمع في الواو أعم من معنى العطف ، فالواو قد تعرى من معنى العطف ، ولا تعرى من معنى الجمع ، فواو المفعول معه في قولك : استوى الماء والخشبة تفيد معنى الجمع ؛ لأنها نائبة عن الباء ، والباء للإلصاق ، والشيء إذا لاصق الشيء فقد جاء معه ، وكذلك واو الحال في قولك : جاء زيد ويده على رأسه<sup>(3)</sup>.

ولكن معنى الجمع الذي نقصده هنا هو ما يكون في عطف المفردات من جمع بالواو بحيث يصير المتعاطفان كالثنية ؛ لذا فهو لا يكون إلا في المفردات<sup>(4)</sup>. وهو ما نستطيع أن نفهمه من قول السيوطي التالي : « الواو إنما

(1) يرى د . أحمد فؤاد الأهواني أن (الجمع) يفيد معنى رياضياً وهو الانفصال ، ويفرق بينه وبين العطف إذ يرى أن العطف لغة : الميل أي بين الشيتين تقارب . ويرى أن الوصل هو الامتزاج وأنه من المعاني القوية التي تعني الامتزاج والاتحام ، وأن الواو لا تفيد انظر : الواو بين النحاة والمناطق د . أحمد فؤاد الأهواني ص 96 بحث بمجلة مجمع اللغة العربية ج 25 1389 هـ ولكن كما سنرى في الصفحات التالية : الواو قد تمزج الاسمين تماماً حتى يصيرا كالاسم الواحد ، وهو ما أطلقنا عليه معنى الجمع هنا.

(2) يناقش معنى هذه الواو في الفصل السادس إن شاء الله (الواو ودلالة الفعل والاسم).

(3) شرح المفصل لابن يعيش 90/8 وانظر معاني الحروف للرماني ص 60 ، سر صناعة الإعراب 2/340

(م).

(4) معني اللبيب 2/365.

تكون للجمع إذا عطفت مفردًا على مفرد لا إذا عطفت جملة على جملة، ومن ثم منعوا أن يقال: هذان يقوم ويقعد، وأجازوا: هذان قائم وقاعد؛ لأن الواو جمعت بينهما وصيرتهما كالكلمة المثناة التي يصح الإخبار بها عن الاثنين<sup>(1)</sup>.

### أ - واو الجمع المتضمنة في التركيب:

من المفيد لنا قبل مناقشة التراكيب التي تأتي فيها الواو مفيدة لهذا المعنى (معنى الجمع) أن نناقش عدة قضايا تعد ممهدة له:

#### 1 - التثنية والجمع وتضمنهما معنى واو العطف:

يقول عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أن العطف في الاسمين المختلفين نظير التثنية في الاسمين المتفقين، فقولك: جاءني زيد وعمرو، بمنزلة قولك: جاءني الزيدان، فيعتبر في هذا الجنس، ويعتبر هناك اللفظ والجنس»<sup>(2)</sup>.

وزاد بعض العلماء فرأوا أن واو العطف محذوفة من المثني والمجموع<sup>(3)</sup>. وأميل إلى رأي عبد القاهر؛ لأن القول بأن الواو متضمنة أمر مقبول، أما القول بأن الواو محذوفة فإن المحذوف له مكان يمكن تقديره فيه، ولكن هنا في المثني والمجموع كيف يمكن تقدير الواو؟ والقول بأن العطف نظير التثنية، أي: مثلها

(1) الأشباه والنظائر في النحو 4/172.

(2) المقتصد في شرح الإيضاح. عبد القاهر الجرجاني 1/235. تحقيق د. كاظم بحر المرجان طبعة بغداد، وانظر شرح الكافية في النحو: رضي الدين 2/173، المسائل البصريات لأبي علي الفارسي تحقيق: محمد الشاطر أحمد 1/489، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ط1985م.

(3) البرهان 3/232.

في أنه من طرق الإيجاز في الجملة العربية<sup>(1)</sup>. « فالأصل في التثنية أو المجموع أن يقولوا : جاءني زيد وزيد ، إلا أنهم رأوا أن ذلك يطول إذا كان التثنية يتبعها الجمع ، فكان يجب أن يقال : زيد وزيد إلى ما يطول جدًا ، فقالوا : الزيدان والزيدون ، فجعلوا الألف والواو عوضًا عن ضم الاسم إلى الاسم ، فحصل المعنى مع اختصار اللفظ<sup>(2)</sup> .

## 2 - المثني التغليبي وتضمنه لواو العطف :

من أساليب العرب في التثنية أنهم إذا اجتمع اسمان مذكر ومؤنث أو كنية واسم ، أن يغلبوا المذكر على المؤنث ، والكنية على الاسم مثل قولهم : الأبوان للأب والأم ، والقمران : للشمس والقمر ، والعمران : لأبي بكر وعمر ، وكذلك يغلبون المشهور على غير المشهور<sup>(3)</sup> .

ومن ذلك : « الأسودان : التمر والماء ، والأبيضان الخبز والماء »<sup>(4)</sup> . وإذا كان المثني العادي المكون من اسمين مشتركين في اللفظ والجنس يتضمن - كما رأينا - واو العطف ، فإن المثني التغليبي وتضمنه لواو العطف أكثر وضوحًا ؛ لأنه بين اسمين مختلفين في اللفظ وهم لا يسلكون سبيل المثني التغليبي إلا إذ دل الدليل

(1) أصول النحو لابن السراج : 62/2 ، 79 ، البرهان 3/232 ، مع الهوامع 2/129 ، صور الإعراب ودلالاته د . صابر بكر أبو السعود ص 116 .

(2) المقتصد في شرح الإيضاح 1/183 .

(3) الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها لابن السكيت اللغوي 29 ، 46 ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ط 1 القاهرة 1989 ، وانظر : مشهور الفوائد للأنباري ص 52 ، تحقيق : حاتم صالح الضامن . طبعة بيروت 1983م .

(4) الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها ص 29 ، وانظر : معجم الفوائد المكونة في الأصوات والكنية والتغليب والأضداد . محمد مصطفى العريضي ص 239 ط دار أبعاد للطباعة والنشر ، بيروت 1983م .

عليه ؛ لاختيارهم خفة اللفظ<sup>(1)</sup>، « ولتناسب بينهما واختلاط<sup>(2)</sup> » والذي يؤكد أن التثنية - بنوعها - تتضمن واو العطف أنهم أحياناً يرجعون عن التثنية إلى العطف بالواو لإفادة معنى التكثير، كما في قول الشاعر:

لو عد قبر وقبر كان أكرمهم      ميتا وأبعدهم عن منزل الذام<sup>(3)</sup>  
وأيضاً عندما يفصل بينهما بفصل ظاهر، نحو: جاءني رجل طويل ورجل  
قصير، أو بفصل مقدر، نحو قولك: جاءني رجل فأكرمت الرجل، والرجل  
الذي ضربته: أي الرجل الجائي والرجل الذي ضربته<sup>(4)</sup>.

وقد يحدث العكس فيعطفون ما حقه التثنية أو الجمع لضرورة الشعر كقول  
الشاعر:

إن الرزية لا رزية مثلها      فقدان مثل محمد ومحمد<sup>(5)</sup>  
وقول أبي نواس:

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً      ويوماً له يوم الترحل خامس<sup>(6)</sup>  
وهذا النوع من العطف من خصائص الواو العاطفة<sup>(7)</sup>.

(1) المقتصد في شرح الإيضاح 201/1.

(2) مغني اللبيب 686/2 وانظر: الأشباه والنظائر في النحو 159/1.

(3) ينسب لعصام بن عبيد الزماني، وينسب لهمام الرقاشي، معجم شواهد العربية 369/1، خزنة الأدب 473/7.

(4) شرح كتاب الكافية في النحو. رضي الدين 172/2.

(5) للفرزدق ديوانه ص 191 دار صادر بيروت (د. ت) وهو يروى فيه هكذا:

إن الرزية لا رزية مثلها      للناس فقد محمد ومحمد

وانظر المغني 356/2، ومعجم الهوامع 129/2، معجم شواهد العربية 126/1.

(6) ينسب لأبي نواس معجم شواهد العربية 107/1، مغني اللبيب 356/2، معجم الهوامع 129/2.

(7) مغني اللبيب 356/2، معجم الهوامع 129/2، الأشباه والنظائر في النحو 125/2، دراسات لأسلوب

القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة 24/3. ط1 مطبعة السعادة. القاهرة 1393 هـ 1973 م.

كما أن هذا الأسلوب يختلف عن تكرير الاسمين من غير عطف ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ ﴾ (1) . وهناك تكرير للاسمين مع تضمن حرف العطف في مثل : لقيته كفة كفة ، معناه : متواجهين ذو كفة مني وكفة منه ، وكأن كل واحد يكف صاحبه عن التولي والإعراض (2) .

ويمكن القول في هذا بحذف حرف العطف بخلاف المثني والمجموع . ومنه : أتيتك صباح مساء ، أي : أتيتك صباحا ومساء (3) .

ومن أمثلة المثني التعليلي في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْفُلُفُكُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (4) وقوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (5) .

### 3 - الأعداد المركبة وتضمنها لواو العطف :

تضمن الأعداد المركبة لواو العطف أوضح مما سبق في المثني والمجموع ، والمثني التعليلي ، يقول عبد القاهر الجرجاني : « اعلم أن أصل أحد عشر أحد وعشرة ، إلا أنهم حذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسما واحدا ، فقالوا : أحد عشر . وبنوا الأول على الفتح ؛ لأن الصدر من كل اسمين جعل اسما واحدا مقصورا على الفتح ، نحو : حضرموت من حيث أن الثاني زيادة ضمت إلى الأول ، فهو كداء التأنيث كذلك يفتح الصدر من الاسمين المجمعول أحدهما مع

(1) سورة الفجر 21 ، 22 .

(2) شرح كتاب الكافية في النحو . رضي الدين 91/2 ، وانظر مشور الفوائد . الأنباري 72 .

(3) انظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي 123/1 مخطوط .

(4) سورة الكهف 80 .

(5) سورة الرحمن 17 .

صاحبه شيئًا واحدًا. وأما الاسم الثاني الذي هو عشر، فبني على الفتح لتضمنه معنى حرف العطف الذي هو الواو، وحركه الواو الفتح»<sup>(1)</sup>.

فالاسمان قد امتزجا تمامًا حتى صارا كالاسم الواحد «وإنما اختاروا مزج أحد الاسمين بالآخر ليكون دالًّا على أن الأخذ وقع دفعة واحدة، فإذا قيل: أخذت خمسة عشر. كان الظاهر أنه أخذها دفعة واحدة»<sup>(2)</sup> ففي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَسَعَةَ عَشْرَ﴾<sup>(3)</sup> واو عطف متضمنة فبني على الفتح»<sup>(4)</sup>.

ويرى الكوفيون أن خمسة عشر وأخواتها اسم مضاف إلى اسم، ومعنى ذلك أنه لا يتضمن واو العطف عندهم، ولكن الواضح أن خمسة عشر مركب من اسمين وبينهما واو العطف المتضمنة، وبيان ذلك أن الاسمين لما ركبا دالًّا على معنى واحد، والإضافة تبطل ذلك المعنى، ألا ترى أنك إذا قلت: قبضت خمسة عشر. من غير إضافة دل على أنك قد قبضت خمسة وعشرة، وإذا أضفت فقلت: قبضت خمسة عشر. دل على أنك قد قبضت الخمسة دون العشرة، كما لو قلت: قبضت مال زيد، فإن المال يدخل في القبض دون زيد<sup>(5)</sup>. وحذفت الواو من الأعداد المركبة اختصارًا<sup>(6)</sup>.

ولهذا المزج والبناء تعليل: «فقد بني الأول لكونه محتاجًا إلى الثاني فشابه الحرف، وبني الثاني لتضمن الحرف العاطف، وبني على الحركة للدلالة على

(1) المقتصد في شرح الإيضاح 735/2.

(2) نفسه 735/2.

(3) سورة المدثر 30.

(4) البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري تحقيق د. طه عبد الحميد - مصطفى

السقا 2/474. القاهرة سنة 1970.

(5) الإنصاف 1/310.

(6) شرح المفصل لابن يعيش 35/6.

عروض البناء ، وأن لهما في الإعراب أصلاً وعلى الفتح ليخف به بعض الثقل الحاصل من التركيب»<sup>(1)</sup>.

من هنا فتضمن التركيب أو العدد المركب لحرف العطف هو أحد أسباب المزج والبناء.

وهناك تراكيب قريبة مما سبق . تحذف فيها واو العطف ، كما في العد في مثل قولك : واحد اثنان ثلاثة<sup>(2)</sup>.

كما يسقط حرف العطف ويبقى العطف مفهوماً بقرينة النغمة ، كقولك : يستمر الامتحان في الأيام التالية : السبت . الأحد . الاثنين ... إلخ<sup>(3)</sup> وقد وردت الأعداد المركبة في القرآن الكريم مبنية على الفتح ، كما في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

هكذا كانت معاني الجمع في الواو المتضمنة في التركيب أو محذوفة منه ، وبعد ذلك تكون دراسة التركيب العطفية الذي تظهر فيه الواو مع إفادة معنى الجمع ، وذلك من خلال التراكيب التالية :

### ب - عطف العقد على النيف :

وفيه يمتزج الاسمان تماماً بالواو ، وواو الجمع<sup>(5)</sup> في هذا التركيب مظهرة ،

(1) شرح كتاب الكافية رضي الدين 87/2.

(2) الواو بين النحاة والمناطق د . أحمد فؤاد الأهواني ص 96.

(3) اللغة العربية مبناها ومعناها د . تمام حسن 239.

(4) سورة يوسف 4.

(5) معنى الجمع في هذا التركيب يختلف عما يفهم من الجمع في قوله تعالى : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى

ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمَمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الأعراف 142 . =

فهي تجعل الاسمين المضمومين بها اسمًا واحدًا لا يتوهم في العقل فصل أحدهما عن الآخر.

يقول سيويوه: « هذا باب ما يكون الاسمان فيه بمنزلة اسم واحد مطول وآخر الاسمين مضموم إلى الأول بالواو، وليس هذا بمنزلة قولك: يا زيد وعمرو، لأنك حين قلت: يا زيد وعمرو. جمعت بين اسمين كل واحد منهما مفرد يتوهم على حياله، وإذا قلت: يا ثلاثة وثلاثين. فلم تفرد الثلاثة من الثلاثين لتتوهم على حيالها، ولا الثلاثين من الثلاثة، ألا ترى أنك تقول: يا زيد ويا عمرو. ولا تقول: يا ثلاثة ويا ثلاثون؛ لأنك لم ترد أن تجعل كل واحد منهما على حياله فصار بمنزلة قولك: ثلاثة عشر؛ لأنك لم ترد أن تفصل ثلاثة من العشرة ليتوهموها على حيالها، ولزمها النصب كما لزم يا ضاربًا رجلا حين طال الكلام<sup>(1)</sup>.

ومعنى الجمع في هذا التركيب من خصائص الواو<sup>(2)</sup>، فهي وحدها التي تفيده، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَمْ تَسْعَ وَيَسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾<sup>(3)</sup>.

= ويختلف أيضًا عما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنٍ وَثُلَاثٍ وَرَبْعٍ﴾ سورة النساء 3. فالأعداد المعدول بها عن أصلها لا تقتضي الضم على الإطلاق.

انظر: من أسرار العربية في البيان القرآني د. عائشة عبد الرحمن ص 32. جامعة بيروت العربية 1972م.

(1) الكتاب 2/228.

(2) مغني اللبيب 2/356، همع الهوامع 2/129، الإنتقان 2/56، الأشباه والنظائر في النحول 2/125، دراسات لأسلوب القرآن الكريم 3/524.

(3) سورة ص 32.

### ج - الجمع بين الاسمين في أفعال المشاركة :

وتختص به الواو<sup>(1)</sup> وذلك في مثل قولك : اختصم زيد وعمرو ، فالفعل اختصم من أفعال المشاركة التي لا تقع إلا من متعدد . تقول : قام زيد وعمرو . فيحتمل قولك هذا ثلاثة أوجه :

- أن يكونا قائما معًا ، أي : قاما في وقت واحد .

- وأن يكون المتقدم قام أولاً .

- وأن يكون المتأخر قام أولاً<sup>(2)</sup> .

أما في : (اختصم زيد وعمرو) فالفعل جمع بينهما في وقوعه منهما معًا ، وهنا يتبادر إلى الذهن - ذهن السامع - معنى الاشتباك والاقتران في فعل الفاعلين للفعل في وقت واحد ؛ إذ لا يصلح أن يقال : اختصم زيد فقط دون إشراك الفاعل الثاني ، فالواو هنا لوقوع الأمرين في وقت واحد<sup>(3)</sup> ، وكذلك لا تقول : المال بين زيد . وإنما تقول : المال بين زيد وعمرو<sup>(4)</sup> .

### د - الجمع بين الاسمين في الأفعال التي تدل على الخلط والجمع :

والواو في هذه التراكيب تحتاج إلى فاعلين أيضًا أو تجمع فاعلين للفعل قبلها . ويختلف التركيب هنا عن السابق في أنه مع أفعال المشاركة يكون الجمع بين الفاعلين . أما هنا فالجمع بين الاسمين في المفعولية ، وتختص به الواو أيضًا

(1) أصول النحو لابن السراج 77/2 ، مغني اللبيب 356/2 ، معجم الهوامع 129/1 .

(2) الجني الداني في حروف المعاني للمراذي ص 158 .

(3) الخصائص 320/3 .

(4) أصول النحو 77/2 .

ومثاله : جمعت زيذا وعمرا<sup>(1)</sup>. وقوله تعالى : ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾<sup>(2)</sup>.

يقول الزمخشري في الآية السابقة : « فَإِنْ قَلَّتْ : قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً في المخلوط به : قلتُ : كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به ؛ لأن المعنى : خلط كل واحد منهما بالآخر ، كقولك : خلطت الماء واللبن ، تريد خلط كل واحد منهما بصاحبه ، وفيه ما ليس في قولك : خلطت الماء باللبن ؟ لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به ، وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ، ومخلوطاً بهما كأنك قلت : خلطت الماء باللبن واللبن بالماء<sup>(3)</sup> ، وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾<sup>(4)</sup> فالشمس والقمر مفعولين في المعنى للفعل جمع.

وفي قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ﴾<sup>(5)</sup> كلمة (يخشش) فيها معنى يجمع ، وربما كان توجيه بعض العلماء للواو هنا على أنها للمعية ، هو لمعنى الجمع الذي في الفعل (يخشش).

ويلاحظ أنه في هذه التراكيب لم يذكر العلماء اختصاص الواو بها.

## هـ - الجمع في النفي :

عندما تقول : ما جاء زيد وعمرو (بغير (لا) بعد الواو) يكون نفيك هذا لمجيئهما معاً.

(1) نفسه 77/2.

(2) سورة التوبة 102.

(3) تفسير الكشاف 212/2 دار المعرفة.

(4) سورة القيامة 9.

(5) سورة الفرقان 17.

يقول الحسن بن قاسم المرادي : « إذا عطف بالواو على منفي ، فإن قصدت المعية لم يؤثّر بـ (لا) بعد الواو نحو : ما قام زيد وعمرو ، وقد ترد زائدة إن أمن اللبس ، نحو : ما يستوي زيد ولا عمرو ؛ لأن المعية هنا مفهومة من (يستوي) وإن لم تقصد المعية جيء بـ(لا) نحو : ما قام زيد ولا عمرو ، ليعلم بذلك أن الفعل منفي عنهما في حال الاجتماع والافتراق ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴾<sup>(1)</sup> .

ويقول رضي الدين في شرح الكافية : « ولا توضع بعد الواو في حالة النفي منعًا للتوهم - (توهم مجيئهما معًا) وبيان أن المراد نفي الاحتمالات الثلاثة ، وقد تزداد فيما لا يحتمل الترتيب طردًا ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا نَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾<sup>(3)</sup> . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾<sup>(4)</sup> . وإن أردت نفي بعض الاحتمالات دون بعض فلا بد من القيد ، نحو : ما جاءني زيد وعمرو معًا ، أو : ما جاءني عمرو وزيد ثانيًا ، أو ما جاءني زيد ثانيًا وعمرو أولًا ، فينبغي بعد أن تقيد بأحد الاحتمالات احتمالان آخران ، وأما لو كررت العامل فقلت : ما جاءني زيد وما جاءني عمرو ، فهو عند سيبويه نفي للمجيء المنقطع أحدهما عن الآخر ، كأن المخاطب توهم أنه حصل مجيء كل واحد منهما لكن منقطعًا عن مجيء الآخر ، فرفعت بهذا الكلام وهمه . وعند المازني هو أيضًا نفي للاحتمالات الثلاثة ، كما كان من دون تكرير العامل ، وهذا القول أقرب ، ويكون فائدة تكرير الفعل المنفي كفايدة زيادة (لا) بعد الواو وأكثر<sup>(5)</sup> .

(1) سورة سبأ 37.

(2) الجنى الداني ص 160.

(3) سورة فصلت : 34.

(4) سورة فاطر 22.

(5) شرح كتاب الكافية . رضي الدين الأستراباذي 364/2.

ورأي المرادي أقرب إلى المقصود من معنى الجمع - هنا - في النفي ، فلو قلت : ما مررت بزيد ولا عمرو . تكون قد نفيت المرور نفياً قاطعاً ، أي : لم تمر بهما لا مجتمعين ولا مفترقين ، أما إذا قلت : ما مررت بزيد وعمرو ، فيمكن أن يكون النفي على أنك لم تمر بهما مجتمعين ، أو مررت بزيد فقط ، أو عمرو فقط ، أو يزيد ثم بعد فترة مررت بعمرو « فعدم تكرار (لا) جعل التركيب يحتمل إرادة نفي اجتماعهما ، ونفي كل منهما »<sup>(1)</sup>.

### و - الجمع بين الاسمين في عامل واحد :

تقول : قام هند وزيد . بتغليب المذكر على المؤنث ، وتقول : قامت هند وزيد مُغفلاً قاعدة التغليب . ويلاحظ ما بين الاستعمالين من فرق . فعندما تقول : قام هند وزيد . يكون الفعل قام منسحباً على المتعاطفين (هند وزيد) الذين اجتمعوا في القيام بحيث أصبح سهلاً ترك تاء التأنيث . أما عندما تقول : قامت هند وزيد . فواضح أن الفعل قام وبه التاء علامة التأنيث ينسحب على الفاعل هند ، ثم تضمير فعلاً بعد الواو مناسباً (من حيث التذكير والتأنيث) لزيد أي : (وقام زيد).

وهذا ما يمكن فهمه من قول المرادي التالي : « قال السهيلي : الواو قسمان : أحدهما : أن تجمع الاسمين في عامل واحد ، وتذوب مناب صيغة التثنية ، فيكون قام زيد وعمرو بمنزلة قام هذان ، وإذا نفي الفعل قلت : ما قام زيد وعمرو .

والثاني : أن تضمير بعد الواو فترفع المعطوف بذلك المضمير أو تنصب ، فإذا نفيت على هذا قلت : ما قام زيد ولا عمرو ، فالواو عاطفة جملة على جملة ،

(1) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي 170/4.

ويتركب على هذين الأصلين مسائل منها :

قامت هند وزيد إذا أضمرت ، وقام هند وزيد إذا جعلتها جامعة لتغليب المذكر على المؤنث ، وتقول : طلعت الشمس والقمر ، وطلع الشمس والقمر ، ومنها : زيد قام عمرو وأبوه : إن جعلتها جامعة جاز ، أو أضمرت بعدها لم يجز ، وكذلك في الصلة والصفة<sup>(1)</sup>.

يقول السيوطي : في مثل : قامت هند وزيد : وقوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(2)</sup> وقوله تعالى : ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾<sup>(3)</sup> وقوله تعالى : ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾<sup>(4)</sup> وقوله تعالى : ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(5)</sup> وقوله تعالى : ﴿لَا تُخْلِفُهُمْ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾<sup>(6)</sup> : « فهذه ونحوها يتعين فيها إضمار العامل ، أي : ولا يأخذه نوم ، وليذهب ربك ، وليذهب أخوك ، وليسكن زوجك ، وكذلك التقدير ، ولا نخلفه ، ثم حذف الفعل وحده فبرز الضمير وانفصل ، ولولا ذلك لزم إعمال فعل الأمر ، والفعل المضارع ذي النون في الاسم الظاهر ، أو الضمير المنفصل ، وإسناد الفعل المؤنث إلى الاسم المذكر<sup>(7)</sup> . ويهمننا من قول السيوطي السابق هو أن حذف علامة التأنيث من : قام هند وزيد تغليبا للمذكر على المؤنث يؤدي إلى عدم إضمار فعل بعد الواو ، فتؤدي الواو معنى الجمع .

وقريب من معنى الجمع في التركيب السابق ما يفهم من الواو في قولك :

(1) الجني الداني في حروف المعاني ص 161 وما بعدها ، الأشباه والنظائر في النحو 171/4 .

(2) سورة البقرة 255 .

(3) سورة المائدة 24 .

(4) سورة طه 42 .

(5) سورة البقرة 35 .

(6) سورة طه 58 .

(7) الأشباه والنظائر في النحو 169/4 .

هذان زيد وعمرو .

يقول ابن السراج : « إذا قلت هذان زيد وعمرو ، لم يجز إلا بالواو ؛ لأن الواو تقوم مقام التثنية والجمع »<sup>(1)</sup>.

فنحن لا نستطيع أن نضم بعد الواو شيئاً ، فلا نقول : هذان زيد وهذان عمرو . وإنما كلمة هذان تتضافر مع واو العطف ، فتعطي الواو في هذا التركيب معنى الجمع المقصود هنا .

### ز - معنى الاتصال :

وهذا المعنى جعل ما تجمع بينهما الواو كالكلمة الواحدة ، ويفهم هذا المعنى من قول المبرد التالي : « ادخلوا الأول والآخِرُ والصغيرُ والكبيرُ . لا يكون إلا مرفوعاً ، ولا يكون إلا بالواو ؛ لأن الفاء تجعل شيئاً بعد شيء ، والواو تتصل على معنى قولك : كلكم . تقول : مررت بزيد أخيك وصاحبك ، فتدخل الواو على حد قولك : زيد العاقل الكريم . وكذلك زيد العاقل والكريم<sup>(2)</sup> ، ولو قلت : العاقل فالكريم أو العاقل ثم الكريم لحبرت أنه استوجب شيئاً بعد شيء »<sup>(3)</sup>.

### ج - جمع الصفات :

للووا بين الصفات معان متميزة منها المغايرة<sup>(4)</sup> ، والجمع ومثال الجمع ، قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾<sup>(5)</sup> « الواو الأولى معناها الدلالة

(1) أصول النحو لابن السراج 79/2.

(2) يناقش عطف الصفات في هذا الفصل بالتفصيل في معاني المغايرة.

(3) المقتضب للمبرد 273/3.

(4) يناقش في نهاية هذا الفصل عطف الصفات ومعنى المغايرة.

(5) سورة الحديد 3.



## ط - المقارنة في الزمان :

ومن معاني الجمع التي تفيدها الواو « المقارنة في الزمان » التي يمكن ملاحظتها من تأمل علاقة الواو بما حولها في أسلوب التحذير؛ إذ إنه لا يعطف في هذا الباب إلا بالواو، ولدلالاتها على الجمع وهي للمقارنة في الزمان هنا بخلاف الفاء، وثم لدلالاتها على التراخي<sup>(1)</sup>، تقول: إياك والأسد، فيفهم السامع أن الأسد موجود في ذلك الوقت والمحذر موجود في نفس الوقت معه<sup>(2)</sup>، فهما مجتمعان معًا في مكان وزمان واحد.

والواو في تراكيب أخرى تفيد معنى الجمع المراد هنا إلى جانب معناها في التركيب التي توجد فيه كواو المعية التي تجمع بين الفعلين في النهي<sup>(3)</sup>. كقول الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ عازٌّ عليكِ إذا فعلتِ عظيمٌ<sup>(4)</sup>  
أي: لا يجتمع أن تنهى عن شيء وتأتي مثله، ولو جزم لكان المعنى فاسدًا<sup>(5)</sup>. وفيه زاد الاشتباك والاقتران حتى لا يتصور أفراد أحدهما عن الآخر<sup>(6)</sup>.

(1) همع الهوامع 170/1.

(2) وهذه الواو قريبة المعنى من الحرف (من) فيمكن أن نقول: إياك من الأسد.

(3) تناقش في الفصل الثالث واو المعية.

(4) ينسب لأبي الأسود الدؤلي. معجم شواهد العربية 355/1، وانظر الجمل للزجاجي ص 187

المقتضب 24/2. مغني اللبيب 361/2، همع الهوامع 13/2، الجنى الداني 157، وينسب للمتوكل الكنانى: الجمل للخليل 68.

(5) الكتاب 424/1، ومعاني الحروف للزجاجي 62، خزنة الأدب 617/2، مغني اللبيب 361/2.

(6) الجنى الداني 157، دراسات لأسلوب القرآن الكريم 16/3. دلائل الإعجاز عبد القاهرة الجرجاني

ص 223 تحقيق: محمود محمد شاكر ط1 القاهرة 1984م.

## ثانيًا : واو العطف ودلالة الترتيب

## أ - إنكار الترتيب :

يؤدي الحرف معناه من خلال التركيب وما به من قرائن لفظية ومعنوية. وتحدث العلماء منذ سيبويه عن قضية الترتيب في واو العطف، ورفض كثير منهم دلالة الواو على الترتيب، وذكروا أدلة من القرآن الكريم، ويلاحظ في هذه الأدلة وطريقة استخدام منكري الترتيب لها، أنهم لم يذكروا دلالات لإغفال الترتيب في الآيات التي جاءت، وقد أغفل فيها الترتيب قصدًا<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ أيضًا أنهم لم يذكروا الآيات الأخرى التي وردت في القرآن الكريم، وقد قصد فيها الترتيب - كما سنرى - .

يقول سيبويه : « وإنما جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول وتجمعهما وليس فيه دليل على أن أحدهما قبل الآخر<sup>(2)</sup> .

ويقول السيرافي : « الواو لا توجب تقدم ما تقدم لفظه ، ولا تأخر ما تأخر لفظه »<sup>(3)</sup> . وذكر قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾<sup>(4)</sup> في سورة البقرة، وقوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ

(1) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني، ص 223، تحقيق : محمود محمد شاكر، ط 1، القاهرة، 1984م.

(2) الكتاب لسيبويه 2/304، 1/218 ط بولاق، وانظر : أصول النحو لابن السراج 2/55.

(3) شرح كتاب سيبويه للسيرافي 2/151.

(4) سورة البقرة 58.

سُجِّدًا»<sup>(1)</sup>. وتبعهما في ذلك عدد كبير من العلماء<sup>(2)</sup>.

أما ابن جني فكان أكثر دقة حينما قال: واو العطف وضعها لغير الترتيب، وأن تصلح للأوقات الثلاثة، نحو: جاء زيد وبكر، فيصلح أن يكونا جاءا معًا، وأن يكون زيد قبل بكر، وأن يكون بكر قبل زيد، ثم إنك قد تنقلهما من العموم إلى الخصوص، وذلك في قولهم: اختصم زيد وعمرو. فهذا لا يجوز أن يكون الواو فيه إلا لوقوع الأمرين في وقت واحد، ففي هذا إخراج للواو عن أول ما وضعت له في الأصل من صلاحها للأزمنة الثلاثة، والاقتصار بها على بعضها»<sup>(3)</sup>.

### ب - ربط القضية بموضوع التقديم والتأخير:

واو العطف ترتبط بالتركيب لإفادة معان إلى جانب العطف - كما سبق في معنى الجمع - وقد يكون للتركيب دلالة على الترتيب إذا ما جاءت به القرائن اللفظية والمعنوية التي تعين على ذلك، يقول ثعلب: «إذا قلت: قام زيد وعمرو. فإن شئت كان عمرو بمعنى التقديم على زيد، وإن شئت كان بمعنى التأخير، وإن شئت كان قيامهما معًا، فإذا قلت: قاما

(1) سورة الأعراف 161.

(2) انظر: معاني الحروف للرماني ص 59، شرح المفصل لابن يعيش 8/90، وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج تحقيق إبراهيم الإياري 95/1 ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1963، الأنموذج للزمخشري ص 101 ط 1 مطبعة الجوانب قسطنطينية 1299، المفصل للزمخشري ص 165، مطبعة الكوكب الشرقي بالإسكندرية 1293، شرح كتاب الكافية في النحو. رضي الدين الأستراباذي 2/364، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 47/1 تحقيق: أحمد محمد شاكر مطبعة العاصمة. القاهرة (د. د.) شرح الوافية نظم الكافية تحقيق د. موسى بناي على العراق 1980م، مغني اللبيب 2/361، دراست لأسلوب القرآن الكريم 521/2.

(3) الخصائص 3/320.

معًا كانا فيه سواء لا غيره»<sup>(1)</sup>.

وأظن أن قوله : (إن شئت) يعني : إن كنت تريد تقديم عمرو؛ لأنه أهم في نفسك ، أو في نفس السامع ، وهذا قريب مما يسمونه قرينة المقام ، أو مقتضى الحال التي يراعيها المتكلم في تعبيره وتركيبه للجمل.

ويقول الزجاج : « الواو إذا ذكرت فمعناها الاجتماع ، وليس فيه دليل على أن أحد الشئيين قبل الآخر ، لأنها تؤذن بالاجتماع ، والحال تدل على تقدم ما تقدم (لفظه) المتقدم من الاثنين»<sup>(2)</sup>.

فقوله الحال أيضًا يمكن أن يكون قرينة معنوية على أهمية ما جاء قبل الواو. ويقول عبد القاهر : « إذا قلت : جاءني زيد وعمرو. لم يجب ، أن يكون المبدوء به في اللفظ سابقًا ، وكان كل واحد مهما بمنزلة صاحبه في جواز تقدمه إذا كان المقصود أنهما مجتمعان في ذلك»<sup>(3)</sup>.

فهو يشترط القصد بقوله : (المقصود) وهذا المقصود يمكن لنا أن نعده قرينة معنوية تفيد في دلالة التركيب بتضافره مع الواو على الجمع أو الترتيب. فالقضية - كما أرى - يجب أن تناقش من خلال مفهوم التقديم والتأخير ودلالاته ، وقد ذكرت ألفاظ التقديم والتأخير في أقوال العلماء السابقة.

ج - قرائن لفظية ومعنوية تعين على إدراك الترتيب من عدمه :

عندما يرفض عبد القاهر الترتيب في الواو يومئ إلى ما في التركيب من دخل في ذلك يقول : « الواو لا أصل له في الترتيب بدليل أنهم وضعوه حيث لا

(1) مجالس ثعلب . شرح وتحقيق : عبد السلام هارون 386/2 ، دار المعارف القاهرة 1969م.

(2) معاني القرآن وإعراجه للزجاج 414/1.

(3) المقصد في شرح الإيضاح 937/2.

يتصور الترتيب كقولهم: اشترك زيد وعمرو، والاشترك يقتضي فاعلين<sup>(1)</sup>.  
فكون الواو جاءت في سياق لا يتصور فيه الترتيب لا يمنعها أن تجيء في سياق مرتب، كيف أفادت الواو معنى الجمع في قولك: اختصم زيد وعمرو. إن دلالة الفعل اختصم على المشاركة واحتياجه إلى فاعلين من القرائن اللفظية والمعنوية التي تعين على إفادة معنى الجمع في الواو.

ولا تفهم المعاني الدقيقة لواو العطف إلا من خلال التركيب وما به من قرائن، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾<sup>(2)</sup>. سياق مرتب وقد فهم الترتيب من قضية الوجود، وتلك قرينة معنوية أعانت الواو على أداء معناها الدقيق في الترتيب.

وكما سبق في قولك: (قام هند وزيد) بتغليب المذكر على المؤنث دلالة على الجمع، أما في قولك: (قامت هند وزيد) - «وهو على إضمار فعل بعد الواو»<sup>(3)</sup> - فواضح فيه أنه بترك التغليب وإضمار الفعل إبعاد للتركيب عن معنى الجمع، وتقريب له من الترتيب، أي. قامت هند وقام زيد.

وتناقش تلك القرائن اللفظية والمعنوية من خلال دراسة قضيتي: إغفال الترتيب وقصد الترتيب، ودلالات كل منهما ودواعيه.

#### د - إغفال الترتيب: دواعيه ودلالاته:

إن تأمل التركيب قبل الحكم على الواو يفيد كثيرًا؛ لأن الواو وحدها «لا تفيد الترتيب وجودًا وعدمًا»<sup>(4)</sup>.

(1) نفسه 937/2.

(2) سورة الزلزلة 1: 2.

(3) انظر ص 42 من هذا الفصل، الجني الداني ص 160 وما بعدها.

(4) الفوائد الضيائية 356/2.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾<sup>(1)</sup>.  
ويعلق الزركشي على هذه الآية بقوله : « لما انقطع نظام الترتيب عطف بالواو ، فقال : وليتلطف ؛ إذ لم يكن التلطف مترتباً على التوجه في طلبه ، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللبث بتسليم العلم له سبحانه »<sup>(2)</sup>.

بدأ العطف بالفاء ، وعندما أراد معنى آخر متعلق بأحدث الأوامر الأولى قاله بالواو فيكون المعنى - والله أعلم - كالتالي : فأرسلوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، وبعد وصوله ينظر الطعام ، ليشتري طعاماً طيباً ، وبعدها يشتري الطعام المطلوب ، وأمر عام يتعلق بكل ما سبق وهو : ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ : فالتلطف مطلوب قبل الذهاب إلى المدينة وأثناء الشراء ، حتى أثناء العودة إلى الكهف . وقد جاء إغفال الترتيب في آيات القرآن الكريم بصور مختلفة يمكن مناقشتها كالتالي :

1 - آيات قدم فيها المعطوف على المعطوف عليه ، وأخر في أخرى والخبر واحد :

قال تعالى : ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾<sup>(3)</sup>. وقال في سورة أخرى : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾<sup>(4)</sup>. والخبر واحد والقصة واحدة<sup>(5)</sup>.

(1) سورة الكهف 19.

(2) البرهان 4/175 ، الإتيان 2/140.

(3) سورة البقرة 58.

(4) سورة الأعراف 161.

(5) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 1/95 ، التبصرة والتذكرة 1/133.

وهذا يسير مع ما رآه الزركشي من أنه أتى بالطريقين للتفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب<sup>(1)</sup>.

وقريب منه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾<sup>(2)</sup>. وفي سورة الجاثية: ﴿وَحَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ﴾<sup>(3)</sup>.

ومن ذلك ما هو مراعاة للفاصلة ولعدم الإخلال بالتناسب<sup>(4)</sup>، كما في قوله تعالى في سورة الأعلى: ﴿صُحُفٍ إِتْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾<sup>(5)</sup>. وقوله في سورة النجم: ﴿صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾<sup>(6)</sup> و﴿إِتْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾<sup>(6)</sup>. وفي سورة الشعراء: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾<sup>(7)</sup> وقوله في سورة طه: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾<sup>(8)</sup>. فالله سبحانه وتعالى - وهو أعلم - أراد الأمرين بدرجة واحدة من الوجوب. والواو جمعت بين شيئين ليس أحدهما بأولى من الآخر في التقديم، كما أن آيات هذا النوع من العطف كثيرة في القرآن الكريم.

## 2 - التقديم والتأخير لاختلاف المخاطب :

ولأن المخاطب في آية قد يختلف في آية عن أخرى والتركيب واحد؛ فإن لذلك أثره: فنجد ما قدم في الآية الأولى يؤخر في الآية الأخرى لإفادة معنى

(1) البرهان 235/3 وما بعدها.

(2) سورة البقرة 7.

(3) سورة الجاثية 23.

(4) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص 398 ج 41 دار الآفاق الجديدة بيروت 1403 هـ.

1981م وانظر البرهان 235/3.

(5) سورة الأعلى 19.

(6) سورة النجم 36 - 37.

(7) سورة الشعراء 48.

(8) سورة طه 70.

خاص مقصود من تلك الآية . يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام : ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(1)</sup> ويقول في سورة الإسراء : ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادَكُم خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية ؛ لأن الخطاب في الأولى في الفقراء ، بدليل قوله تعالى : ﴿مِنَ إِمْلَاقٍ﴾ ، فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم . والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ فإن الخشية تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ؛ لأنه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم<sup>(3)</sup>.

### 3 - التقديم والتأخير لأغراض معنوية :

وتلك الدلالات تفهم من تأمل المعنى ، وأسباب نزول الآيات (قرينة المقام).  
يقول سبحانه وتعالى : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾<sup>(4)</sup>. ويقول في آية أخرى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾<sup>(5)</sup>. بدأ بالزاني في الآية الأولى وفق أسلوب العرب في تغليب المذكر على المؤنث ، وهو أمر منطقي في الترتيب ، ولأن المسألة مسألة زواج والرجل هو الأصل فيها<sup>(6)</sup>. أما في الآية الثانية فقدم الزانية ؛ لأن المسألة مسألة عقوبة والزنى فيهن (أي النساء) أكثر ،

(1) سورة الأنعام 151.

(2) سورة الإسراء 30.

(3) البرهان 1/286 وانظر : خصائص التراكيب د . محمد أبو موسى 294 ط2 القاهرة 1980.

(4) سورة النور 3.

(5) سورة النور 2.

(6) الفصل والوصل في القرآن الكريم ص 115.

ولأنهن أصل الجناية<sup>(1)</sup>.

وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنذِرْهُنَّ مَا ظَبَّ لَكُمْ مِنَ الْنِسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرِيعٌ﴾<sup>(2)</sup>. وقوله في آية أخرى ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفِرَادَى﴾<sup>(3)</sup>. في الآية الأولى راعى التدرج الطبيعي في الترتيب. أما في الثانية فبدأ بالأكثر، لأن حالة الاجتماع في القيام أهم، فبدأ بها<sup>(4)</sup>.

فالعرب قد تبدئ بذكر الشيء والمقدم غيره<sup>(5)</sup>. ولذلك دواع ودلالات، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَنْزِيهِمْ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(6)</sup>. مع أن الأمر الطبيعي في الترتيب هو أن الركوع قبل السجود، كما في قوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾<sup>(7)</sup>. وقوله تعالى: ﴿تَرَبَّيْتُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾<sup>(8)</sup>. ورأى ابن جني في آية آل عمران أن «الله سبحانه وتعالى بدأ بالسجود قبل الركوع لفظاً، وهو مؤخر في المعنى»<sup>(9)</sup>.

ويسوق الزركشي احتمالات لأسباب إغفال الترتيب هنا، منها:

«يحتمل أن يكون في شريعتهم الركوع قبل السجود، أو المراد بالسجدي اشكري، أو بالسجدي: صلي وحدك، واركعي: صلي في جماعة، لذلك قال مع الراكعين»<sup>(10)</sup>.

(1) نفسه ص 115 وما بعدها.

(2) سورة النساء 30.

(3) سورة سبأ 46.

(4) البرهان 257/3.

(5) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص 322.

(6) سورة آل عمران 43.

(7) سورة الحج 77.

(8) سورة سورة الفتح 29.

(9) سر صناعة الإعراب لابن جني 232/2 (ن) مخطوط.

(10) البرهان 240/3، وانظر الكشاف 429/1.

والاحتمال الأخير قد يكون هو الصواب فسبحانه وتعالى يقول : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

فقد أمر سبحانه وتعالى بالصلاة ، ثم الزكاة ، ثم قال : ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ . يقول الزمخشري عن الركوع : « ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود ، وأن يكون أمرًا بأن تصلي مع المصلين : يعني في الجماعة كأنه قيل : وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين »<sup>(2)</sup>.

وصور إغفال الترتيب كثيرة في القرآن الكريم نذكر منها أيضًا قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾<sup>(3)</sup> . فقد قدم الآخرة على الأولى في سياق البشرى والنذير ؛ إذ الآخرة خير وأبقى ، وعذابها أكبر وأشد ، وأخزى وأبقى ، وإن الآخرة هي دار القرار.

وفي سورة الضحى قدمت الآخرة على الأولى في سياق البشرى لمحمد ﷺ . وفي النازعات قدمت في سياق الوعيد لفرعون ، ومثله في آية الليل متلوة بهذا النذير ﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلْتَظِنُ﴾<sup>(4)</sup>.

وقد يغفل الأمر المنطقي في الترتيب لبيان سوء الطوية<sup>(5)</sup> . كما في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾<sup>(6)</sup> . ولبیان اضطراب النفس<sup>(7)</sup> . كما في قوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُولَ

(1) سورة البقرة 43.

(2) تفسير الكشاف 277/1.

(3) سورة الليل 13.

(4) التفسير البياني للقرآن الكريم د . عائشة عبد الرحمن 112/2.

(5) انظر : الفصل والوصل في القرآن الكريم ص 130.

(6) تأمل هذه الآية والآيات من 67 : 71 من سورة البقرة.

(7) الفصل والوصل في القرآن الكريم ص 130 وما بعدها.

نَفْسٌ بِحَصْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿١﴾.

هـ - القائلون بالترتيب وأدلتهم :

يقول الرماني : وذهب قطرب وعلي بن عيسى الربيعي إلى أنه يجوز أن يكون الواو مرتبة ، نحو قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ (٢) . وهو كلام مرتب ، ويؤنس به أيضًا قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ (٣) . وأنه لو كف أيدي عددهم لكان في ذلك محنة ومشقة عليهم ، وهذا يؤيد مذهب الشافعي في أن الواو يجوز أن ترتب ﴿٤﴾ .

ومن العلماء من رأى أنه في مثل قولك : جاء زيد وعمرو : تقديم اللفظ (زيد) يستدعي سببًا في تقديم المجيء (٥) .

واستدل بعض العلماء بإنكار الصحابة على ابن عباس تقديم العمرة على الحج ، وقد قدم الله الحج عليها في التنزيل (٦) .

ورأى ابن يعيش أن ابن عباس محق ؛ لأنه عالم بالعربية فرأيه أفضل (٧) .  
أي : أنه محق في أن الواو لا ترتب

(١) تأمل الآيات من 56 : 59 من سورة الزمر.

(٢) سورة آل عمران 18.

(٣) سورة الفتح 24 (وقد وردت الآية في معاني الحروف وأيديكم عنهم من قبل والصواب : (وأيديكم عنهم بطن مكة).

(٤) معاني الحروف للرماني 59 وما بعدها.

(٥) مغني اللبيب 2/392 ، مع الهوامع 2/139 ، المدارس النحوية 111 د . شوقي ضيف ط1 القاهرة سنة 1968م.

(٦) شرح المفصل لابن يعيش 8/93.

(٧) نفسه 8/93.

ومن أدلة القائلين بالترتيب أنه لما نزل قوله الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾<sup>(1)</sup> . قال الصحابة : بم نبدأ يا رسول الله ؟ فقال : « ابدءوا بما بدأ الله بذكره »<sup>(2)</sup> . ويرد على ذلك أيضًا بأنه لو كانت الواو للترتيب لما سأل الصحابة أصلًا<sup>(3)</sup> ، لأنهم عرب يتذوقون التراكيب ومعاني الحروف من خلالها. يروى أن أحد الأعراب خطب في قومه فقال في خطبته : (من أطاع الله ورسوله فقد رشد ، ومن عصاهما فقد غوى ، فقال له الرسول ﷺ : « بس خطيب القوم أنت هلا قلت : ومن عصى الله ورسوله »<sup>(4)</sup> .

وقد يرد على ذلك بأن الرسول ﷺ غضب من الخطيب ؛ لأنه ترك الأدب بتركه إفراد اسم الله تعالى بالذكر ، كما أن الرسول ﷺ ربما أراد جمال الأسلوب بأن تكون المتعاطفات متشابهة ، أي : جملة على جملة.

وذكر الواو يشعر بالمغايرة بين الاسميين ، وهو معنى مطلوب في مثل هذا التركيب العطفى.

ونقل بعض العلماء عن الفراء والكسائي وثعلب والربيعي وابن درستويه وبعض الفقهاء أن الواو للترتيب<sup>(5)</sup> .

ويروى أن سحيم بن الحسحاس أنشد :

عَمِيرَةٌ وَدَّعَ إِِنْ تَجَهَّزَتْ غَادِيَا      كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا<sup>(6)</sup>

(1) سورة البقرة 158.

(2) انظر : موطأ مالك باب الحج ص 159 برواية محمد بن الحسن الشيباني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط2 بيروت د . ت ، ولفظه : نبدأ بما بدأ الله به.

(3) شرح المفصل لابن يعيش 93/8.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي 159/6 ولفظه : بس الخطيب أنت قل : ومن يعصى الله ورسوله.

(5) شرح كتاب الكافية في النحو . رضي الدين 364/2.

(6) ينسب لسحيم بن الحسحاس . معجم شواهد العربية 421/1 .

فقال له عمر رضي الله عنه : لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك <sup>(1)</sup>. فعمر رضي الله عنه أراد تقديم الإسلام بالذكر <sup>(2)</sup>. وذلك لأهمية الإسلام في نفوس المسلمين. تلك أدلة القائلين بالترتيب ، ويلاحظ أنهم لم يذكروا الآيات التي أغفل فيها الترتيب ، ولم يحاولوا مناقشة سبب هذا الإغفال.

إن الواو تأتي في سياق مرتب ، وآخر غير مرتب والقرائن اللفظية ، والمعنوية هي التي يفهم منها بالتضافر مع الواو معنى التركيب ، وما فيه من ترتيب.

### و - قصد الترتيب : دواعيه ودلالاته :

قد تأتي الواو في آيات القرآن الكريم في سياق مرتب بقصد تهذيب النفس <sup>(3)</sup>. كما في سورة النور في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَنْصُرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ <sup>(4)</sup>.

وقد تأتي في سياق مرتب لتوضيح أحكام فقهية ، كما في قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ <sup>(5)</sup>.

رأى الزركشي أن إدخال المسح بين الغسلين ، وقطع النظر عن نظيره مع مراعاة ذلك في لسانهم دليل على قصد الترتيب <sup>(6)</sup>. ورأى الزجاج في الآية

= وانظر : شرح المفصل لابن عبيش 2/115 ، 7/84 - 148 ، 8/24 - 93 - 138 ولسان العرب 2/218 ، معني اللبيب 1/106.

(1) شرح المفصل لابن عبيش 8/93.

(2) نفسه 8/93.

(3) تفسير الكشاف 3/61 ، الفصل والوصل في القرآن الكريم ص 130.

(4) سورة النور 30 ، وتأمل الآيات التالية لها.

(5) سورة المائدة 6.

(6) البرهان 3/274.

تقديمًا وتأخيرًا<sup>(1)</sup>.

أما ابن حزم فأخذ بظاهر الآية ورأى أن القرآن نزل بمسح الرجلين ، وأن الغسل زائد يُفهم من حديث الرسول ﷺ والأخذ بالزائد واجب ، أي أن غسل الأرجل يكون بسبب ما جاء في الحديث ، ولا يفهم من النص القرآني ، وبرر لذلك بأن قول الله تعالى : ﴿ وَأَمْسِكُوا بُرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ سواء قرئ بخفض اللام أو بفتحها هي في الحالتين عطف على ﴿ بُرُءُوسِكُمْ ﴾ إما على اللفظ ، وإما على الموضع ؛ ولا يجوز غير ذلك ؛ لأنه لا يجوز أن يحال بين المعطوف والمعطوف عليه بقضية مبتدأة ، وهكذا جاء عن ابن عباس بالمسح (نزل القرآن بالمسح) يعني في الرجلين في الوضوء<sup>(2)</sup>.

وقرب بعض العلماء بين معنى المسح والغسل ، قال الأنباري : المراد بالمسح في الأرجل الغسل ، فهي معطوفة على ﴿ بُرُءُوسِكُمْ ﴾ ، وقال أبو زيد الأنصاري : المسح خفيف الغسل ، وكان سيويه إذا قال : سمعت الثقة . يريد أبا زيد الأنصاري .

ويقولون : تمسحت للصلاة . أي : توضأت<sup>(3)</sup>.

وفي قراءة النصب<sup>(4)</sup> رأى الأخفش الأوسط أن الأرجل تغسل وتمسح ، وذلك في مثل أكلت خبزًا ولبنًا<sup>(5)</sup>.

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 167/2.

(2) المحلى لابن حزم ، تحقيق أحمد محمد شاكر 56/2 . دار التراث . القاهرة د . ت . وقد ناقش ابن حزم هذه الآية في المسألة رقم 200 من كتابه المحلى وأورد الأحاديث والأخبار الواردة بالمسح ، والأخرى الواردة بالغسل .

(3) سورة المائدة 6.

(4) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنص اللام وقرأ الباقر بالحذف .

النشر لابن الجزري 254/2 تحقيق محمد الصباغ بيروت د . ت .

(5) مع الأخفش الأوسط في كتابه معاني القرآن سعيد الأفغاني ص 216.

ورأى الزمخشري في قراءة الجر أن الأرجل عطف على الثالث المسوح لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها، وقيل: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فجيء بالغاية إمامة لظن ظان يحسبها ممسوحة؛ لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة<sup>(1)</sup>.

وليس معنى تعدد الأحكام بتعدد القراءات أنه أمر جاء بالصدفة، وإنما تعدد القراءات إعجاز بالإيجاز، فتعدد القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدة لم يخف ما كان فيه من التطويل، ولهذا كان قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ منزلاً لغسل الرجل والمسح على الخف واللفظ واحد، لكن باختلاف في إعرابه<sup>(2)</sup>.

وهناك في القرآن الكريم أيضاً دواعٍ منطقية للترتيب<sup>(3)</sup>.

ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾<sup>(4)</sup>. المشي أولاً، ثم البطش باليد. وقريب منه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

فمانع الصدقة يصرف وجهه، ثم يعرض بجنبه، ثم يتولى بظهره<sup>(6)</sup>.

وقد يفهم الترتيب في سياق ما بالواو؛ لأنه جاء في سياق آخر بحرف يفيد ذلك، والخبر واحد. كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا قِطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ

(1) تفسير الكشاف 597/1.

(2) الإتقان 227/1.

(3) ومن دواعي الترتيب ما ذكره الدكتور محمد سلطان في كتابه الفصل والوصل في القرآن الكريم ص 130 وما بعدها. كتقديم الأعراف في القدرة، والأكثر في العدد، والأسرع وروداً إلى النفس، وانظر البرهان 268/3 وما بعدها.

(4) سورة الأعراف 185.

(5) سورة التوبة 35.

(6) البرهان 269/3.

خَلْفًا وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ»<sup>(1)</sup>. وكذلك في سورة الشعراء  
«وَلَا أُصَلِّبَنَّكُمْ»<sup>(2)</sup>. وورد في سورة الأعراف: «ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ»<sup>(3)</sup>.  
جاء في الآية الأخيرة ثم على أن الواو في الآيتين السابقتين أريد بها معنى (ثم) مع  
كون الصلب بعد القطع»<sup>(4)</sup>.

وإغفال الترتيب لا يأتي إلا مع الواو، وقد يأتي في ظاهر التركيب مع (ثم)  
كما في قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى  
عَلَى الْعَرْشِ»<sup>(5)</sup>.

وتأول بعض العلماء ذلك بأن معناه: «ثم كان قد استوى على العرش قبل  
أن يخلق السموات والأرض. أي: أخبركم بخلقها، ثم استوى، ثم أخبركم  
بالاستواء»<sup>(6)</sup>.

ومثل ذلك قوله تعالى: «خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>(7)</sup>.  
«وهو على ترتيب الخبر، أي: أخبركم أولاً بخلقه من تراب، ثم أخبركم  
بقوله كن»<sup>(8)</sup>.



(1) سورة طه 71.

(2) سورة الشعراء 49.

(3) سورة الأعراف 124.

(4) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 522/3.

(5) سورة الحديد 40.

(6) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 101/1.

(7) سورة آل عمران 59.

(8) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 104/1.

### ثالثاً : معنى المشاركة بواو العطف

تأتي الواو في التركيب العطفى البعيد عن معنى الجمع - بالمعنى السابق توضيحه - لأداء معنى المشاركة بين المتعاطفين في الإعراب والحكم والمعنى ، وللمشاركة في المعنى دون الإعراب ، وللمشاركة في الإعراب مع استقلال في المعنى لكل من المتعاطفين . وهذا كما سيتضح يختلف عن معنى الجمع الذي أفادته الواو ، والذي يجعل الاسم الواحد ، أو كما قالوا : نظير الثنية والجميع .

#### أ - المشاركة التامة بين المتعاطفين :

تأتي واو العطف للمشاركة بين المتعاطفين<sup>(1)</sup> . وهذه المشاركة قد تكون في تأثير العامل<sup>(2)</sup> . فيصبح المعطوف على الشيء شريكه في العامل فيحل محله<sup>(3)</sup> . وهذا ما جعل بعض العلماء يقول : « لا يعطف اسم على اسم ، أو فعل على فعل في موضع من العربية ، إلا كان مثله :

تقول : مررت بزيد وعمرو ، ورأيت زيداً وعمراً ، وأنا آتيك وأكرمك<sup>(4)</sup> . فالمشاركة هنا بين المتعاطفين في الإعراب ليعلم أنه مثل الأول في فاعليته أو

(1) انظر الكتاب 41/3 ، المقتضب 148/1 ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي 13/1 شرح المفصل 91/8 ، 74/3 ، الاستعلام عن معاني الحروف واستعمالها في الكلام شرح : عبد الوهاب محمد رزينة على المنظومة البهية في معاني الحروف والكلمات العربية ص 21 ح 11 السعادة سنة 1933 .

(2) شرح المفصل 74/3 .

(3) انظر الكتاب 41/3 ، شرح كتاب سيبويه للسيرافي 13/1 ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني د . عبد الفتاح لاشين ص 75 ، ص 135 .

(4) البرهان 101/4 .

مفعوليته، ليتصل الكلام بعبئه بعض»<sup>(1)</sup>.

«وإذا ما أشرك، الثاني الأول في الإعراب فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب»<sup>(2)</sup>. لذا «لا يجوز في المشاركة التامة أن تقول: جاء زيد ورجل، لكون المعطوف نكرة. نعم إن تخصص فإن قلت: ورجل آخر جاز»<sup>(3)</sup>.

وفي المشاركة بين الاسم والاسم يجب أن يصح أن يسند لأحدهما ما يصح أن يسند إلى الآخر، ولهذا منع أن يكون زوجك في قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(4)</sup>. معطوفاً على المستكن في أنت، وهذا جعل بعض العلماء يعده من عطف الجمل بمعنى أنه مرفوع بفعل محذوف، أي: ولتسكن زوجك<sup>(5)</sup>.

وفي المشاركة بين الفعل والفعل اشترط بعضهم اتفاق زمانهما، فإن خالف رد إلى الاتفاق بالتأويل<sup>(6)</sup>.

والمعطوف يجب أن يكون من جنس المعطوف عليه حتى يؤمن اللبس<sup>(7)</sup>. وفي المشاركة بين مبتدأ ومبتدأ آخر «يجب أن يكون خبر المبتدأ الأول نكرة، تفسير هذا أنك تقول: زيد منطلق وعمرو، تريد: وعمرو منطلق أيضاً، ولا تقول: زيد المنطلق وعمرو. ذلك لأن المعنى مع التعريف على أنك أردت أن تثبت انطلاقاً مخصوصاً قد كان من واحد، فإذا أثبتته لزيد لم يصح إثباته لعمرو»<sup>(8)</sup>.

(1) نفسه 101/4.

(2) دلائل الإعجاز ص 222 وانظر: الواو بين النحاة والمناطق د. الأهواني ص 96.

(3) البرهان 101/4.

(4) سورة البقرة 35.

(5) البرهان 107/4.

(6) البرهان 107/4.

(7) صور الإعراب ودلالاته د. صاير بكر أبو السعود ص 117.

(8) دلائل الإعجاز ص 178، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية ص 101.

ومن أمثلة المشاركة في الفاعل في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(1)</sup>.

« فانظر إلى : تؤتي وتنزع ، وتعز وتذل . المعنى وعكس المعنى ، أو الفعل وعكس الفعل ، والرابطة بين المتضادين الواو دلالة على الفاعل الذي يفعل هذا وذاك ، وليس كربط الفعل في مثل جاء محمد وعلي»<sup>(2)</sup>.

ومن أمثلة المشاركة في الفعل قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(3)</sup>. « فالفعل ينسحب على كل من بعده»<sup>(4)</sup>.

وفي دراسة المشاركة التامة بين المتعاطفين نرى ضرورة مناقشة مسائل تتعلق بظاهر التركيب ، أو بمعنى آخر : ما رآه النحاة من سمات ضرورية وخصائص يجب أن تتوافر في المتعاطفين حتى تصح المشاركة بينهما ، وهذه الشروط والسمات أثارت قضايا خاصة بالمتعاطفين ، وأثارت نقاشاً حاداً بين العلماء ، من ذلك : العطف على المضمرة المجرور بإعادة الخافض والعطف على المضمرة المرفوع بالتوكيد.

كذلك يلاحظ أنه مما يرتبط بمعنى المشاركة التامة بين المتعاطفين قضايا تتعلق

(1) سورة آل عمران 26 ، 27.

(2) صور الإعراب ودلالاته د . صابر بكر أبو السعود ص 20.

(3) سورة آل عمران 61.

(4) صور الإعراب ودلالاته ص 120 وما بعدها.

بالحرف ذاته، هل هو من الحروف العاملة أو من غير العاملة، وقضايا أخرى تتعلق بحذف وإثبات العناصر الثلاثة في أسلوب العطف، كحذف المعطوف، أو حرف العطف، أو المعطوف عليه.

ونناقش هنا هذه القضايا بإيجاز من خلال آراء النحاة، واستقراء وتأمل آيات القرآن الكريم.

### 1 - المشاركة في العامل :

رأى بعض العلماء أن الواو من الحروف الهوامل، لأنها لا تختص باسم ولا فعل<sup>(1)</sup>.

« وسبويه وجمهور البصريين يذهبون إلى أن العامل في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه، فمثل : كلمت محمدًا وعليًا، انتصب محمد وعلي جميعًا بـ(كلمت) وذهب أبو علي الفارسي إلى أن حرف العطف هو العامل، ورأى آخرون أن العامل في المعطوف فعل محذوف بعد أداة العطف؛ لأن الأصل في مثل كلمت محمدًا وعليًا : كلمت محمدًا وكلمت عليًا، فحذف الفعل بعد الواو لدلالة الأول عليه، بدليل أنه يجوز إظهاره<sup>(2)</sup> ». ورأى بعضهم أن « العامل في المعطوف حرف العطف بحكم نيابته عن المحذوف<sup>(3)</sup> ». وأن « واو العطف تقوم مقام العامل قبلها<sup>(4)</sup> ».

وأنها لا تعمل بنفسها « فالعمل للفعل في الحقيقة، وهي تعمل على سبيل

(1) معاني الحروف للرماني ص 59، المقدمة الحسينية في فن العربية لابن باشاذ 206 مخطوط بمكتبة الأزهر برقم خاص 3088.

(2) شرح المفصل 75/3 عالم الكتب، بيروت (د. ت).

(3) نفسه 75/3.

(4) الخصائص 387/2.

الإبتاع والنيابة ، ولو كان مجراها مجرى الحروف العاملة لفظًا ومعنى لعملت عملاً مخصوصًا لا تعدل عنه ولا تفتقر فيه إلى متابعة ما قبلها كإن وأخواتها مثلاً»<sup>(1)</sup>.

وافترض ابن جني الفعل في الموضع الذي يستحيل إظهاره ، قال : « فأما قولهم : اختصم زيد وعمرو . ففيه نظر ، وهو أن عمرا مرفوع بفعل آخر غير هذا الظاهر ، على حد قولنا في المعطوف : إن العامل فيه غير العامل في المعطوف عليه ، فكأنه قال : اختصم زيد واختصم عمرو ، وأنت مع هذا لو نطقت بهذا لم يصلح الكلام ، لأن الاختصاص لا يكون من أقل من اثنين ، وعلّة جوازه أنه لما لم يظهر الفعل الثاني المقدر إلى اللفظ لم يجب تقديره وإعماله كأشياء تكون في التقدير فتحسن ، فإذا أنت أبرزتها إلى اللفظ قبحت»<sup>(2)</sup>.

وبدلاً من هذه التأويلات والافتراضات يمكن القول - من خلال تأمل التركيب - بأنه في قولك : اختصم زيد وعمرو : الواو أفادت جمع الاسمين في عامل واحد هو اختصم ، وأصبح (زيد وعمرو) كالاسم الواحد (نظير التثنية) يعمل فيهما الفعل اختصم.

وفي قولك : قام زيد وعمرو : إن قصدت مجرد المشاركة فلك إضمار فعل بعد الواو ، ويكون هو العامل مع عدم إغفال دور الواو في الإبتاع أي : إبتاع ما بعدها لما قبلها.

وفي قولك : قام هند وزيد . العامل الفعل (قام) ينسحب على الفاعلين المجموعين بالواو.

(1) المتقصد في شرح الإيضاح 1/89 ، 659

(2) الخصائص 2/426.

أما في قولك : قامت هند وزيد ، فالعامل الفعل المقدر بعد الواو<sup>(1)</sup> مع الواو أيضًا.

فالواو عندما تفيد الجمع بين الاسمين فالعامل واحد ، وعندما تفيد المشاركة بين المتعاطفين فالعامل الفعل بعدها مقدرًا في عطف الاسمين ومظهرًا في عطف الجمل إلى جانب دور الواو في إتباع ما بعدها لما قبلها .

يقول ابن السراج : « حروف العطف عشرة أحرف يتبعن ما بعدهن ما قبلهن من الأسماء ، والأفعال في إعرابها الأول : الواو ومعناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول »<sup>(2)</sup> وتثير قضية عمل الواو عدة مسائل نناقشها كالتالي :

### تقديم المعطوف وحرف العطف على المعطوف عليه :

رأى العلماء أن هذا الأسلوب لا يجوز إلا في الواو<sup>(3)</sup>.

والاختلاف بين العلماء في جواز تقديم المعطوف وحرف العطف على المعطوف عليه ناتج أصلاً عن اختلافهم في عمل الواو.

فالذين رأوا أن الواو هي العاملة في المعطوف عليه ضعف عندهم هذا الأسلوب ، ورأوا أنه « إذا ، قلت : قام وزيد عمرو يضعف من جهة القياس ، فقد جمعت أمام زيد بين عاملين أحدهما قام والآخر الواو »<sup>(4)</sup> التي رأوا أنها قائمة مقام العامل قبلها.

وجوز ابن هشام هذا الأسلوب في ضرورة الشعر كقول الشاعر :

(1) الجنبي الداني ص 158 وانظر ص 41 من هذا الفصل : الجمع بين الاسمين في أفعال المشاركة.

(2) أصول النحو لابن السراج 55/2.

(3) الخصائص 385/2.

(4) نفسه 387/2.

أَلَا يَا نَخْلَةَ مِنْ ذَاتِ عِزِّي عَالِيكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ<sup>(1)</sup>  
وقول الشاعر:

جَمَعَتْ وَفُحْشًا غَيِّبَةً وَنَمِيمَةً خِصَالًا ثَلَاثًا لَسْتُ عَنْهَا بِمُرَعَوِي<sup>(2)</sup>

ويفصل بعضهم فيرى - تعليقا على البيت السابق - أنه يجوز التقديم في المنصوب عند أكثرهم ، ولا يجوز في المجرور عند جميعهم لا يجوز أن تقول : مررت وعمرو بزيد ، وذلك لأن الفعل لا يقع عليه ، ويقبح في المرفوع إذا قلت : قام وزيد عمرو<sup>(3)</sup>.

ويحاول ابن جني أن يجد مخرجا نحويا لهذا الأسلوب يقول : « يجوز أن تكون (رحمة الله) معطوفة على الضمير في (عليك) وذلك أن (السلام) مرفوع بالابتداء وخبره مقدم عليه وهو (عليك) ففيه - إذن - ضمير منه مرفوع بالظرف فإذا عطفت (رحمة الله) عليه ذهب عنك مكروه التقديم ، لكن فيه العطف على المضمرة المرفوعة المتصلة من غير توكيد له . وهذا أسهل عندي من تقديم المعطوف على المعطوف عليه »<sup>(4)</sup>.

ولكن : ليست الضرورة وحدها هي التي سوغت التقديم في (عليك) ورحمة الله (السلام).

« فالترخص في الرتبة قد يجوز عندما تغني القرائن الأخرى ، والذي أغنى عن قرينة الرتبة بين المتعاطفين هنا ما بينهما من شهرة التعاطف على نسق خاص

(1) ينسب للأحوص : معجم شواهد العربية 1/350، خزاعة الأدب 5/399، همع الهوامع 1/173، 2/129، 130، 140، مغني اللبيب 2/357.

(2) ينسب ليزيد بن الحكم . معجم شواهد العربية 1/418، شرح الأشموني 2/370، همع الهوامع 1/220.

(3) ما يجوز للشاعر في الضرورة القزاز القيرواني ص 328.

(4) الخصائص 2/385.

حتى أصبحا كالمثل، وذلك هو التضام، وحفظ الرتبة بين حرف العطف والمعطوف، وتوسط المعطوف بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر مما جعله لا يزال في حيز الجملة، فالقارئ تُغني - حين تتصافر - عن قرينة أخرى يتضح المعنى بدونها<sup>(1)</sup>.

كما أن ما في هذا البيت وأمثاله من التراكيب خروج عن النمط العادي، ولهذا الخروج أثره الواضح على المعنى.

### - الفصل بين حرف العطف والمعطوف :

وهو أسلوب يتعلق - أيضًا - بقضية عمل الواو، فحينما رأى العلماء أو بعضهم أن واو العطف ليست كالفعل تمامًا في العمل، وإنما تنوب عنه، وتقوم مقامه آثاروا قضية الفصل بين حرف العطف والمعطوف.

يقول ابن السراج: « وحروف العطف لا يفرق بينها وبين المعطوف بشيء مما يعترض بين العامل والمعمول فيه »<sup>(2)</sup>.

ويرفض - أيضًا - عبد القاهر الجرجاني الفصل بين حرف العطف والمعطوف فيقول: « يقبح أن تقول: أضرب زيدًا اليوم وغدًا عمراً، فتفصل الواو عن معمولها الذي هو عمرو بالظرف الذي هو غداً؛ لأن في ذلك إجراء للحرف مجرى الفعل »<sup>(3)</sup>.

ويرى « أنه حينما ينوب حرف العطف عن الجار يقبح الفصل بين حرف العطف والمعطوف، وعندما ينوب حرف العطف عن المضاف فإن الفصل بين

(1) اللغة العربية مبنها ومعناها د. تمام حسان ص 236.

(2) أصول النحو لابن السراج 60/2.

(3) اللغة العربية مبنها ومعناها، د. تمام حسان ص 236.

حرف العطف والمعطوف هنا يكون أشد قبْحًا؛ لأنه لا يجوز أصلًا الفصل بين المضاف والمضاف إليه، فكيف يجوز في النائب عن المضاف (1). ولأن اسم الفاعل (العامل) فرع من الفعل كانت الواو النائية عنه أضعف من الواو النائية عن الفعل، فالفصل في هذه الحالة أشد قبْحًا (2). ولأنه لا يجوز الفصل بين اسم الفاعل والمضاف بعده كان «الجر في قولك: مررت برجل ضارب زيد اليوم وغداً عمرو (أصبح من النصب)، لأنه يقبح في اسم الفاعل نفسه، كذلك قبْح في الواو التي نابت عنه وهي أضعف» (3).

أما في مثل: «أعطيت زيدًا الدرهم والدينار عمرًا بالنصب لم يكن الدينار فصلًا بين الواو وما عطف بها، ولكن تقديمًا لأحد معموليها على الآخر» (4). ولا يجوز في حالة الجر، لأن المجرور كالجُزء من الجار، فلا يجوز الفصل بينه وبين معموله لا بأجنبي ولا بغيره؛ لأننا بداية لا نقول: هو ضارب اليوم زيدًا أي أننا لا نفصل بالظرف بين اسم الفاعل، والمضاف إليه، وإنما جاز في الأول (حالة النصب) لأنه يجوز بداية في اسم الفاعل: هو ضارب اليوم زيدًا (5). وفصل رضي الدين الأستراباذي فرأى أنه يجوز الفصل بين العاطف والمعطوف غير المجرور بالقسم إذا لم يكن المعطوف جملة، وبالشرط وبالظن بشرط ألا يكون العاطف الفاء والواو (6). وذلك لكونهما على حرف واحد، فلا ينفصلان عن معطوفهما (7).

(1) نفسه 521/1.

(2) نفسه 521/1.

(3) نفسه 521/1.

(4) المقتصد في شرح الإيضاح 523/1.

(5) نفسه 523/1.

(6) شرح كتاب الكافية في النحو. رضي الدين 325/1.

(7) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 575/3.

وذكر الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة في معجمه عشر آيات من القرآن الكريم بها فصل بين العاطف والمعطوف ، منها آية العاطف فيها (أو) والآيات الباقية بالواو ، وذكر عقب الآيات بعض آراء العلماء دون تعقيب عليها<sup>(1)</sup>.

من هذه الآيات :

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾<sup>(2)</sup>. وقد رأى بعض العلماء أن (من ذريتنا) حال فاصل بين المعطوف وحرف العطف ، واعترض بعضهم بأنه إذا كان لا يجوز الفصل بين العاطف والمعطوف وحرف العطف بالظن ، فكيف يجوز بالحال وهو شبيه بالمفعول به<sup>(3)</sup>.

وفي ظني - والله أعلم - أنه يمكن تقدير المعنى كالتالي : (ربنا واجعلنا مسلمين لك واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك).

أما في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا ءَايِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾<sup>(4)</sup>. فقد رأى بعضهم فيه «عطف شيئين على شيئين والعامل واحد»<sup>(5)</sup>. «فحرف العطف يعمل ما يعملها العامل الذي ينوب عنه ، فإذا كان للعامل عملان رفع ونصب كان للحرف مثله»<sup>(6)</sup>.

ويمكن أن يكون التقدير : وآتينا في الآخرة حسنة ، فيكون عطف جملة على جملة ،

وفي معظم الآيات التي ذكرها الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة يمكن

(1) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 575/3 وما بعدها.

(2) سورة آل عمران 128.

(3) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 575/3.

(4) سورة البقرة 201.

(5) دراسات لأسلوب القرآن 575/3.

(6) المقتصد في شرح الإيضاح 440/1.

تقدير فعل بعد الواو، فيصح التركيب، وتجاوز المشاركة وتخف حدة التأويلات، والذي جعل النحاة يقبحون الفصل بين العاطف والمعطوف عدة أشياء منها:

أن واو العطف - دائماً - تكون مع المعطوف، أي: أنها من الناحية الكتابية والمعنوية تلتصق بالاسم التالي لها، فهي وما بعدها كالاسم الواحد مثلها مثل باء الجر.

وعندما ننطق جملة: جاء محمد وعلي. لا نستطيع أن نقف عند الواو وإنما نلحق الواو في النطق بما بعدها فنقول: وعلي «فاتصال الواو بما بعدها حقيقة يشهد بها للملفوظ والمكتوب»<sup>(1)</sup>.

والشيء الثاني يتعلق بمفهوم العطف ومعانيه، فمعنى الجمع الذي سبقت دراسته والذي أصبح فيه: (زيد وعمرو) كالاسم الواحد أي: كالمثنى عندما تقول: (اختصم زيد وعمرو). فقد جمعا بالواو وليس من السهل الفصل بينهما، أما إذا أردت مجرد المشاركة بين الاسمين في التراكيب الخاصة بالمشاركة، فيجوز الفصل بين المتشاركين، ويمكن إضمار فعل بعد الواو يشبه الفعل الأول أو يناسب المعنى. ويمكن فهم معنى التركيب على التقديم والتأخير، والذي يحدد وجهًا من الأوجه السابقة هو تأمل التركيب وفهم تفسير الآية، والمعنى المقصود من التركيب فيها.

### العطف على معمولي عاملين مختلفين:

جوزه بعضهم ورفضه آخرون:

ومثاله: زيد في الدار، والحجرة عمرو.

(1) الواو بين النحاة والمناطق د. الأهواني ص 102.

وقد منعه سيوييه والمبرد ، وأضمر حرف الجر في نحو: (في الدار زيد ، والحجرة عمرو) و(ما زيد بقائم ولا قاعد عمرو) . وقدرا مضافاً محذوفاً في نحو: ما كل بيضاء شحمة ، ولا سوداء ثمرة<sup>(1)</sup> .

ورفض ابن السراج هذا الأسلوب من قبل أن حرف العطف وضع لينوب عن العامل ، ويغني عن إعادته وقال : « العطف على عاملين خطأ في القياس غير مسموع من العرب ، ولو جاز العطف على عاملين لجاز على ثلاثة وأكثر من ذلك . ولو كان الذي أجاز العطف على عاملين ، أي : شاهد عليه بلفظ غير مكرر ، نحو: إن في الدار زيداً والمسجد عمرا . وعمرو غير زيد ، لكان ذلك له شاهداً على أنه وإن حكى مثله حاك ، ولم يوجد في كلام العرب شائئاً ، فلا ينبغي أن نقبله وتحمل كتاب الله عز وجل عليه »<sup>(2)</sup> .

وأجازه بعضهم : « إن كان أحد العاملين جاراً واتصل المعطوف بالعاطف ، أو انفصل بلا »<sup>(3)</sup> .

وذكر ابن هشام تفصيلاً لذلك :

- إن لم يكن أحد العاملين جاراً ، فقبل ممتنع بالإجماع .

- وإن كان أحدهما جاراً : فإما أن يتقدم الجار والمجرور ، نحو: (في الدار

زيد والحجرة عمرو) . أو يتأخر نحو: (زيد في الدار والحجرة عمرو)<sup>(4)</sup> .

وذكر خلافاً في كل هذه الصور<sup>(5)</sup> .

(1) الكتاب 33/1 ط بولاق وانظر أصول النحو لابن السراج 75/2 .

(2) أصول النحو لابن السراج 76/2 .

(3) الإقتان 322/2 .

(4) مغني اللبيب 486/2 .

(5) مغني اللبيب 486/2 وما بعدها .

ورأى بعضهم أنه «إن ولي المنخفض العاطف جاز؛ لأنه كذا سمع، ولأن فيه تعادل المتعاطفات، وإلا امتنع نحو: في الدار زيد وعمرو والحجرة»<sup>(1)</sup>.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

وقد قلب علماء العربية الوجوه الممكنة في هذه الآية مؤولين القراءات<sup>(3)</sup> فيها. ويمكن إيجاز هذه الأوجه الإعرابية كالتالي:

قراءة الرفع في: (آيات) الثالثة: على نيابة الواو مناب الابتداء، وفي (فيكون) على معمولي عاملين.

أو رفعها على تقدير مبتدأ، أي: هي آيات وعليها ليست (في) مقدره<sup>(4)</sup>. فيكون العطف على معمولي عامل واحد.

قراءة النصب في (آيات) الثالثة: على نيابة الواو مناب (إن) وفي (فتكون) عطفًا على معمولي عاملين<sup>(5)</sup>.

أو نصب (آيات) الثالثة على التوكيد للأولى<sup>(6)</sup>. فتكون عطفًا على معمول عامل واحد.

(1) نفسه 406/2.

(2) سورة البقرة 164.

(3) قرأ حمزة ويعقوب والكسائي بكسر التاء فيهما (أي النصب في الثانية والثالثة) وقرأها الباقون بالرفع: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري تحقيق: على محمد البجاوي 1150/2 ط الخليلي د. ت.

(4) مغني اللبيب 487/2.

(5) نفسه 487/2.

(6) انظر أصول النحو 75/2، مغني اللبيب 487/2.

وتأويل سيبويه بأن (آيات) الثاني والثالث توكيد بعيد ، فالمراد بآيات الأولى غير المراد من آيات الثانية . وكذلك الثالثة ، إذ المعنى : أن في كل واحد مما ذكر آيات ، فكيف يستقيم أن يؤول بالتأكيد<sup>(1)</sup>.

يقول الزمخشري : « وأما قوله : ﴿أَإِنْتُمْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ . فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت ، فالعاملان إن نصبت هما : (إن وفي) ، وإذا رفعت : (الإبتداء وفي).

فإن قلت : العطف على عاملين على مذهب الأخفش شديد لا مقال فيه ، وقد أباه سيبويه ، فما وجه تخريج الآية عنده ؟  
قلت : فيه وجهان عنده :

- أحدهما : أن يكون على إضمار (في).

- والثاني : أن ينتصب آيات على الاختصاص<sup>(2)</sup>.

ورأى السيرافي أن (واختلاف الليل والنهار) عطف على المجرد قبله<sup>(3)</sup>. وأظن أن المشاركة في هذا الأسلوب هي مشاركة بين مفهومين . وقل مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْسُلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ ﴿٤﴾﴾ والتي قال فيها العلماء مثلما قالوا في آيات سورة الجاثية.

فقد رأى بعضهم أن فيها عطف على معمولي عاملين ، وأنه ظاهر في

(1) شرح الوافية نظم الكافية 262.

(2) تفسير الكشاف 509/3 وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم 3 : 583.

(3) شرح كتاب سيبويه للسيرافي 346/1 (و).

(4) سورة يونس 26 : 27.

عطف : (الذين كسبوا) على (الذين أحسنوا) وعطف (جزاء سيئة بمثلها) على قوله : (الحسنى)<sup>(1)</sup>.

وضربه الأخفش على أنه من العطف على عاملين ، وخرجه الجمهور على أنه مما حذف منه حرف الجر<sup>(2)</sup> . وهو مثل سابقه : مشاركة بين مفهومين .

وفي قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝﴾<sup>(3)</sup> .

ذكرها الدكتور محمد عبد الخالق عزيمة في معجمه أثناء مناقشته (إذا) الشرطية واختار تقدير الرضي من أن العامل في (إذا) مصدر مضاف محذوف<sup>(4)</sup> .

وذكر آيات مثلها ، وكلها يمكن تقدير المصدر العامل في (إذا) فيكون الكلام من العطف على معمولي عامل واحد<sup>(5)</sup> .

وقد ذكر ابن هشام مناقشات كثيرة بين العلماء حول جواز هذا الأسلوب ، أي : العطف على معمولي عاملين انتهى فيها إلى جوازه<sup>(6)</sup> .

وأرى أنه يجوز مثل هذا الأسلوب مع ملاحظة أن الواو فيه تشرك بين أربعة أشياء كل شيئين في قسم ، وهو يشبه ما تفيده الواو من عطف مجموع جمل على مجموع جمل أخرى .

كما أن تقدير حرف جر في المعطوف عليه لا يغير المعنى ، وهو تأويل مقبول .

(1) شرح الوافية نظم الكافية ص 262 .

(2) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم 584/3 .

(3) سورة الشمس 1 : 2 .

(4) دراسات لأسلوب القرآن 95/1 .

(5) نفسه 97/1 .

(6) مغني اللبيب 488/2 .

## المشاركة بين الاسم الظاهر والضمير المرفوع المتصل :

في مثل : جئت وزيد . وقد اشترط أكثرهم التأكيد أو الفاصل (1) . وذلك لما سبق توضيحه من أنه لا بد من توافر سمات وخصائص معينة في كل من الشريكين ، بل في الأسلوب بأكمله .

فهذه السمات والخصائص الشكلية والمعنوية هي التي أثارت الاختلاف بين العلماء في مثل هذه الأساليب .

وقد جوز الكوفيون هذا النوع من العطف بلا شروط (2) . واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ ذُو مِرْوَةٍ فَاسْتَوَى ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۗ ﴾ (3) على أن فيه عطف (وهو) على الضمير المرفوع في (استوى) وعد البصريون الواو فيه للحال ، والمعنى : أن جبريل وحده استوى بالقوة في حال كونه بالأفق ، وليس كما يرى الكوفيون من أن الذي استوى جبريل ، والضمير (هو) يرجع على سيدنا محمد ﷺ لذا فهم يرون ضرورة التوكيد (4) .

ورأى عبد القاهرة أنه لا يجوز ؛ لأن الضمير المرفوع يتصل بالفعل لفظاً وتقديراً : ولأن الفاعل كالجزم من الفعل بدليل استتاره في الفعل حين تقول أحياناً : اضرب ، وأحياناً في ضربت (5) ، ورأى بعض العلماء « أن الواو في نحو قوله تعالى : ﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (6) عاطفة للجمل . وزوج فاعل

(1) انظر أصول النحو لابن السراج 79/2 ، 80/2 الأشباه والنظائر في النحو 309/2 .

(2) البرهان 115/4 .

(3) سورة النجم 6 : 7 .

(4) شرح كتاب الكافية في النحو . رضي الدين الأستراباذي 319/10 ، والبرهان 124/48 ، وما بعدها .

(5) المقتصد 559/2 .

(6) سورة البقرة 35 .

لمحذوف والتقدير: ولتسكن زوجك . فالجملة لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها معطوفة على استئنافية<sup>(1)</sup>.

وبعض المؤيدين لهذا النوع من العطف رأى أن الواو في الآية السابقة تعطف المفرد (زوج) على فاعل (اسكن) . وليست تعطف جملة على أخرى<sup>(2)</sup>.

وباستقراء ما في القرآن الكريم من هذا الأسلوب نجد جاء بالتوكيد، أو ما يحل محله، فالتوكيد لا يقتصر على إظهار الضمير المستتر، وإنما قد يأتي الجار والمجرور، أو خبر كان، أو المفعول معه، أو جملة، أو إلا، ويلاحظ أن هذا الفصل بالأنواع السابقة يحل محل التوكيد بإظهار الضمير، وقد ورد في القرآن الكريم من هذا الأسلوب من غير توكيد أو فصل، كما سنرى.

ذكر الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة عشرين آية تحت عنوان: العطف على الضمير المرفوع المتصل، ويتأملها نجد: تسعة مواضع المؤكد فيها الضمير (ظاهراً) قبل الواو<sup>(3)</sup>، منها قوله تعالى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا﴾<sup>(4)</sup>. وقوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بَايَاتِي﴾<sup>(5)</sup>.

الفصل بالجار والمجرور ومعه التوكيد بإظهار الضمير، وهو قوله تعالى: ﴿فَكَبُكِبْرًا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ﴾<sup>(6)</sup>. وقد ورد مرة واحدة وفي موضعين، كان الفصل فيهما بخبر كان كقوله تعالى: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾<sup>(7)</sup>.

(1) إعراب الجمل وأشبهه الجمل . فخر الدين قباوة ص 132 ط 1 دار الأسمعي بحلب 1972م.

(2) إعراب الجمل وأشبهه الجمل ص 132.

(3) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 3/ 540: 543.

(4) سورة المائدة 24.

(5) سورة طه 42.

(6) سورة الشعراء 94.

(7) سورة النمل 67.

ومرة بالمفعول به والضمير ، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ (1).

ومرة بالمفعول به والصفة ، كقوله تعالى : ﴿سَيَصَلَّى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (2).

ومرة بجملة (كما أمرت) ، وهو قوله تعالى : ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (3).

ومرة بجملة معطوفات عليها في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَيَضَعُكَ وتُلْتَمِسُ وَطَأْفَةً مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ (4).

وقد قرئ (وأهلوكم) (5) في قوله تعالى : ﴿فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (6) وبذلك يكون الفصل بالمفعول به (7).

كما ورد الفصل بالجار والمجرور (8) في قراءة الرفع (9) من قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (10). فقد رأى بعض العلماء أن (رسوله) عطف على الضمير في ﴿بَرِيءٌ﴾ . وجاز ذلك بلا تأكيد بالمنفصل لقيام الفصل

(1) سورة النجم 23.

(2) سورة المسد 3، 4.

(3) سورة هود 112.

(4) سورة المزمل 20.

(5) انظر : البحر لأبي حيان 92/8.

(6) سورة التحريم 6.

(7) البحر لأبي حيان 294/8.

وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم 543/3.

(8) لم يذكره د . محمد عبد الخالق عضيمة في دراسته.

(9) انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري 634/2.

(10) سورة التوبة 3.

بقوله: ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مقام التأكيد<sup>(1)</sup>.

أما قراءة الرفع<sup>(2)</sup> في قوله تعالى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾<sup>(3)</sup>. فليس فيها تأكيد ولا فصل.

وقد يُفهم المفعول به للفعل ﴿ظَلَمُوا﴾، من سياق الكلام، وإن كان من المسلم به أنه يجب إظهاره حتى يكون فاصلاً.

أما الفصل بلا فقد ورد مرتان:

مرة بالضمير المؤكد (ولا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾<sup>(4)</sup> ومرت بلا وحدها في قوله تعالى: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾<sup>(5)</sup> فقد عطف (آباؤنا) على الضمير في أشركنا<sup>(6)</sup>.

ويلاحظ أن (لا) في الآيتين السابقتين لم تفصل بين المعطوف عليه، وحرف العطف كأنواع الفصل السابقة، ولكنها تأتي بعد الواو، فلا تعد فاصلاً للتوكيد، فلا تقوم مقامه<sup>(7)</sup>؛ لأن التوكيد المطلوب يكون قبل الواو، وهذا ما جعل بعض العلماء يرى أن المعطوف (آباؤنا) و (لا) زائدة لتأكيد النفي<sup>(8)</sup>.

ويمكن أن يقال بأن اللام زيدت فطال الكلام فتاب طوله عن التأكيد<sup>(9)</sup>.

القضية تتعلق بالمشاركة والخصائص المطلوبة في هذا الأسلوب، فتأكيد

(1) البيان 634/2، شرح كتاب الكافية في النحو رضي الدين 353/2.

(2) انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري 1089.

(3) سورة الصافات 22.

(4) سورة النحل 35.

(5) سورة الأنعام 148.

(6) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 600/2.

(7) إعراب القرآن المنسوب للزجاج 600/2.

(8) شرح كتاب الكافية رضي الدين 319/1.

(9) خزنة الأدب 119/s.

الضمير فيه يكون لسببين :

السبب الأول : لكي يصبح الشريكان من الناحية الظاهرية (الشكلية) أهلاً لأن تشرك بينهما الواو.

والسبب الثاني : أن التأكيد أو الفصل يجعل هذا الأسلوب غير ملتبس بأسلوب المفعول معه.

وفي الآية السابقة ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ تحقق فيها الشرط الثاني ، وهو الفصل بلا بعد واو العطف ، فأصبح التركيب مغايراً لأسلوب المفعول معه. أما الشرط الأول ، وهو وجود الفاصل بين الواو والمعطوف لم يتحقق بأكمله ، وهذا سبب النقاش الذي دار بين العلماء حول عد هذه الآية ضمن أساليب المشاركة بالواو بين الاسم الظاهر والضمير المرفوع المتصل ، وقد يكون الفصل بلا في الآية حقق جزءاً من الشرط الأول ، وهو إبعاد هذا الأسلوب عن أسلوب المفعول معه ، وذلك بلا الزائدة ، وإن كان بأسلوب آخر غير وضعها بين حرف العطف والمعطوف.

### المشاركة بين الاسم الظاهر والضمير المحرور :

واختلف العلماء في جواز هذا الأسلوب<sup>(1)</sup>. فالكوفيون يجوزونه بدون إعادة الخافض ، ووافقهم على ذلك يونس والأخفش وقطرب والشلوبين ، وابن مالك<sup>(2)</sup> وكذلك أبو حيان<sup>(3)</sup>.

(1) انظر الإتيان 321/2.

(2) انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري 631/2 ، وخراتة الأدب 124/5 ، الاقتراح للسيوطي

ص 49.

(3) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 543/3.

ولم يوافق كثير من علماء العربية على هذا الأسلوب إلا بإعادة الخافض، فرأوا: «أنه لا يصح أن يقال: (مررت بك وزيد) بل لا بد من أن يقال: مررت بك وبزيد. أي: أنه لا بد من إعادة الخافض»<sup>(1)</sup>. وذلك لأن «الخافض بمنزلة التنوين من الاسم، فهو يقوم مقامه ويعاقبه كما أنه لا يلفظ به إلا متصلاً؛ لذا فهو بعض الاسم ولا يجوز العطف على بعض الاسم»<sup>(2)</sup>. ولأن «الجار والمجرور بمنزلة شيء واحد، فلو عطفنا عليه اسماً لكان بمنزلة ما لو عطف اسماً على حرف، وذلك لا يجوز»<sup>(3)</sup>. لذلك اختاروا «إعادة العامل ظرفاً أو اسماً؛ لأن اتصال الضمير المجرور بجاره أشد من اتصال الفاعل المتصل بفعله، وليس للمجرور ضمير منفصل حتى يؤكد به أولاً، ثم يعطف عليه، فلم يبق إلا إعادة العامل الأول»<sup>(4)</sup> «ليكون في الصورة كالمستقل»<sup>(5)</sup>.

ولما كانت المسألة تتعلق بخصائص المتشاركين بالواو، فإن أقوال الراضين لهذا الأسلوب بدون إعادة الخافض يتضح فيها هذه الخصائص، فابن جني رأى أن إعادة العامل هنا للاحتياط والتوكيد «فنحو: مررت بزيد وعمرو أوكد معنى من قولك: مررت بزيد وعمرو»<sup>(6)</sup>.

وإذا ما أجرى هذا الأسلوب على أسلوب المشاركة بين الاسم الظاهر والضمير المرفوع، وقيس عليه فإن توكيد ضمير المجرور كقولك: مررت بك وزيداً. قد اختلف فيه:

- 
- (1) مجالس ثعلب 2/446، الإنصاف المسألة 65، المدارس النحوية ص 81.  
(2) المقتصد 2/995 وما بعدها.  
(3) منشور الفوائد للأبشاري ص 46، المسائل المشكلة (البغداديات) ص 561، أصول النحو 2/80.  
(4) الفوائد الضيائية 2/48.  
(5) شرح الوافية نظم الكافية ص 210.  
(6) الخصائص 3/111.

فذهب الجرمي إلى جواز العطف مع التأكيد قياسًا على العطف على ضمير الفاعل إذا أكد والجامع بينهما شدة الاتصال بما يتصلان به.

وذهب سيبويه إلى منع العطف والفرق من أوجه :

أحدها : أن تأكيده لا يزيل عنه العلل المذكورة في المنع ، بخلاف تأكيد الفاعل فإنه يزيل عنه المانع من العطف.

الثاني : أن تأكيد ضمير المجرور بضمير المرفوع على خلاف القياس ، فتأكيد ضمير الفاعل بضمير المرفوع جاري على القياس ، فلا يلزم عمل الخارج عن القياس على الجاري على القياس :

الثالث : أن ضمير المجرور أشد اتصالاً من ضمير الفاعل بدليل أن ضمير الفاعل قد يجعل منفصلاً عند إرادة الحصر ، ويفصل بينه وبين الفعل ولا يمكن الفصل بين ضمير المجرور وعامله ، فلما اشتد اتصاله قوى شبهه بالتونين ، فلم يؤثر التأكيد في جواز العطف بخلاف الفاعل ، فإنه لما لم يشتد اتصاله أثر التوكيد في جواز العطف عليه.

الرابع : أنه يلزم من العطف مع تأكيد المجرور بالمرفوع ، نحو : مررت به هو وزيد . مخالفة اللفظ والمعنى :

أما اللفظ : فإن قبله ضمير المرفوع ، ولم يحمل العطف عليه.

وأما المعنى : فإن معنى المجرور غير معنى المرفوع ، ولا يلزم من العطف على تأكيد ضمير الفاعل لا مخالفة اللفظ ، ولا مخالفة المعنى<sup>(1)</sup>.

والآيات التي وردت في القرآن الكريم من هذا الأسلوب بإعادة الخافض كثيرة<sup>(2)</sup>.

(1) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي 2/308.

(2) انظر : دراسات لأسلوب القرآن 3/543.

ونناقش هنا الآيات التي يحتمل فيها أن تكون من هذا الأسلوب ، ولم يعد فيها الخافض.

من هذه الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>(1)</sup>. قراءة الجر<sup>(2)</sup>. وهي إما على تقدير محذوف أي : (وبالأرحام)<sup>(3)</sup>. فقد رأى ابن جني فيها « أن الباء حذفت لتقدم ذكرها كما حذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك : بمن تمرر أمرر، وعلى من تنزل أنزل ، ولم تقل أمرر به ، ولا أنزل عليه ، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما<sup>(4)</sup>. ورأى بعض العلماء أن إعادة الخافض هنا - تقديراً - شرط لصحة العطف<sup>(5)</sup>.

(فالأرحام) مجرورة بياء مقدره<sup>(6)</sup>، والواو أشركت بين الأرحام وضمير ذي الجلال « لتشعر أنها عنده بمكان<sup>(7)</sup>.

وقصر بعضهم في هذا الأسلوب الجر على الشعر، وقبحه في غيره، وعده خطأ في العربية<sup>(8)</sup>.

وإما الجر على القسم : ويكون جوابه : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(9)</sup>. واعتراض الزجاج على الجر بالقسم في هذا الأسلوب ، وقال : « إنه خطأ في

(1) سورة النساء 1.

(2) قرأ حمزة بخفض الميم . وقرأ الباقون بنصبها . النشر 2/247.

(3) انظر الإتيان 2/278.

(4) الخصائص 1/285.

(5) البرهان 3/108.

(6) خزنة الأدب 5/125، الإنصاف 2/465، البرهان 4/115.

(7) انظر : دلالات التراكيب د . محمد أبو موسى ص 293. دار العلم للطباعة ط القاهرة سنة 1979م.

(8) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 2/2.

(9) سورة النساء وانظر : معاني القرآن للقراء 1/252، خزنة الأدب 5/125، 129.

العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأً أيضاً في أمر الدين عظيم؛ لأن النبي ﷺ قال (1): « لا تحلفوا بأبائكم » (2).

ولكن المعنى غير ذلك؛ إذ المعنى أن الله يحضهم على صلة الرحم وينهاهم عن قطعها، وينبههم على أنه بلغ من حرمتها عندهم أنهم يتساءلون بها، فهي حكاية عنهم وإخبار، أي: « اتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً مستحلفاً إياه بالله وبالرحم » (3).

ووقع بعضهم فيما يشبه قول الزجاج السابق عندما أراد أن يؤكد أن (والأرحام) قسم حين قالوا: بأن الله يقسم بما شاء من مخلوقاته، من نحو: ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (4). وهذا - في ظني - غير صحيح وهم منهم؛ لأن تفسير الآية: إخبار عن اعتزازهم حتى أنهم يحلفون بها، أي: « اتقوا الله الذي تحلفون به وتحلفون بالأرحام ». وليس قسم من الله بالأرحام. حتى يُبحث له عن تبرير للقسم بالمخلوقات.

#### قراءة النصب (5).

- إما النصب على إضمار فعل بعد الواو، أي: واتقوا الأرحام (6)، والمعنى: « واتقوا الأرحام أن تقطعوها » (7).

(1) صحيح مسلم 105/11 باب الإيمان ولفظه: « إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم ».

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 2/2 خزاعة الأدب للبغدادي 127/5.

(3) البرهان 115/4.

(4) التين: 1.

(5) انظر النشر 2/247: فقد قرأ حمزة بخفض الميم وقرأ الباقون بنصبها.

(6) معاني القرآن للفراء 252/1.

(7) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 2/2.

وأما نصب (الأرحام) على حذف المضاف ، أي : « الذي تساءلون به وقطع الأرحام »<sup>(1)</sup>.

وما دار من نقاش بين العلماء في الآيات الأخرى التي وردت في القرآن الكريم من هذا الأسلوب مثلما دار في هذا الآية . إلى حد ما .

فالمسألة - كما قلنا - تتعلق بالخصائص الشكلية والمعنوية التي تتعلق بما تشرك بينهما الواو . لذا لم يدر نقاش حول المشاركة بالواو بين الضمير المنفصل والاسم الظاهر في نحو قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَزَرُكُمْ وَإِنَّا كُفْرًا ﴾<sup>(2)</sup> . لأن « الضمير المنفصل يجري مجرى الظاهر ومنزلاً منزله ، فحكمه كحكمه ؛ ولذلك تعطفه وتعطف عليه ، كما تفعل بالأسماء الظاهرة »<sup>(3)</sup>.

### إعادة حرف الجر مع واو المشاركة :

يعاد حرف الجر مع واو المشاركة لأسباب تتعلق بالتركيب ، وأخرى تتعلق بالمعنى .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَيُظَاهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ ﴾<sup>(4)</sup> وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۗ

فقد أعيدت الباء في ﴿ وَبِصَدِّهِمْ ﴾ لبعده عن المعطوف عليه بالفصل بما ليس معمولاً للمعطوف عليه ، بل في العامل فيه ، ولم يعد في ﴿ وَأَخَذَهُمْ ﴾

(1) المقتصد 959/2.

(2) سورة الإسراء 30.

(3) دراسات لأسلوب القرآن 544/3.

(4) سورة النساء 160 : 161.

﴿وَأَكْلِهِمْ﴾ ، لأن الفصل وقع بمعمول المعطوف عليه<sup>(1)</sup>.

وفي قوله تعالى : ﴿أَنْفَقُوا مِنْ طَبِيبَتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(2)</sup>. « كرر حرف الجر على سبيل التوكيد ، أو إشعارًا بتقدير عامل آخر حتى يكون الأمر مرتين »<sup>(3)</sup>.

### حذف المعطوف عليه :

قد يحذف المعطوف عليه ويفهم من سياق الكلام للاختصار والإيجاز ، ويكثر في الأسلوب القصصي ، كما نرى في سورة يوسف : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهٖ﴾<sup>(4)</sup>.

« في الكلام حذف : تقديره : فحفظ الرسول ما أول به يوسف الرؤيا ، وجاء إلى الملك ومن أرسله ، فأخبرهم بذلك وقال الملك »<sup>(5)</sup>.

وقوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾<sup>(6)</sup>. أي : فسجنوه ودخل معه السجن فتيان<sup>(7)</sup>.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَآئِنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءُ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(8)</sup>.  
الواو هنا قرينة المعنى من الفاء ، تقول : أعطيتهم فشكر ، ومنعته فصبر ، ولكن عطفه بالواو إشعارًا بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إتياء العلم ، وشيء من

(1) دراسات لأسلوب القرآن 589/3.

(2) سورة البقرة 69.

(3) دراسات لأسلوب القرآن 590/3.

(4) سورة يوسف 5.

(5) تفسير البحر لأبي حيان 316/5 ، وانظر : دراسات لأسلوب القرآن 567/3.

(6) سورة يوسف 36.

(7) دراسات لأسلوب القرآن 565/3.

(8) سورة النمل 15.

مواجهه فأضمر ذلك ، ثم عطف عليه التحميد ، كأنه قال : ولقد آتيناها علمًا ، فعملًا به وعلماءه ، وعرفا حق النعمة»<sup>(1)</sup>.

ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾<sup>(2)</sup> . وإنكم لمن المقربين : « معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب ، كأنه قال إيجابًا لقولهم : إن لنا لأجراً : نعم : إن لكم أجراً وإنكم لمن المقربين»<sup>(3)</sup>.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلْتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(4)</sup> . يقدر فعل قبل الواو أي : فعلنا ذلك ولتستبين المجرمين.

ومسألة تقدير الفعل في هذا الأسلوب هي تحقيق الخصائص اللازمة لما تشرك بينهما الواو ، فهو أمر شكلي ظاهري ، وإلا فإنك لو أثبت الفعل المقدر لتحول التعبير في الآية وفي غيرها إلى تعبير نمطي عادي يفقدها معنى مرادا من هذا الحذف ، « وهو الربط مباشرة بين التفصيل واستبانة السبيل ، وكأن هذا التفصيل من الشمول والوضوح بحيث يؤدي بالقارئ إلى رتبة الاستبانة الكاملة»<sup>(5)</sup>.

### حذف واو المشاركة :

قد تحذف واو المشاركة فقط ، كما قالوا في قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(6)</sup>.

(1) تفسير الكشاف 139/3 ، وانظر دراسات لأسلوب القرآن 568/3.

(2) سورة الأعراف 112.

(3) البرهان 205/3.

(4) سورة الأنعام 55.

(5) بلاغة العطف في القرآن الكريم د . عفت الشرقاوي ص 76 وما بعدها.

دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت . لبنان 1981م.

(6) سورة البقرة 180.

« المعنى : (وكتب عليكم) إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو ،  
وعلم أن معناه معنى الواو ؛ لأن القصة الأولى قد استتمت وانقضى معنى الغرض  
فيها»<sup>(1)</sup>.

ومثله قوله تعالى : ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾<sup>(2)</sup> أي : ووجوه<sup>(3)</sup> . وقوله تعالى :  
﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ﴾<sup>(4)</sup> معناه وقلت . قاله أبو  
علي . وحكى أبو زيد : أكلت سمكا لبنا تمرا ، وذلك لقيام قرينة تدل على أن  
المراد أحدهما»<sup>(5)</sup>.

وهذه القرينة هي قرينة النغمة التي يقصدها الدكتور تمام حسان بقوله :  
« حرف العطف يسقط ويبقى العطف مفهوما بقرينة النغمة ، كقولك : يستمر  
الامتحان في الأيام الآتية : السبت . الأحد . الاثنين وتغني نغمة الكلام عن  
حرف العطف»<sup>(6)</sup>.

وقدر بعض العلماء واو العطف محذوفة في قوله تعالى : ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا  
الْأَشْقَى﴾<sup>(7)</sup> الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى»<sup>(7)</sup> على أن المعنى : والذي<sup>(8)</sup> . وأرى أن تقدير  
الواو هنا قد يحدث مغايرة بين الأشقى والذي كذب وتولى فتجعلهما شيئين :  
الشقاوة والكذب بدلاً من أن يكون الكذب بيانا لهذه الشقاوة وحرف العطف  
لا يحذف في كل التراكيب ، لأن ذلك قد يسبب اللبس فلو قلت : ضربت

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 235/1.

(2) سورة الغاشية 8.

(3) مغني اللبيب 2/635 ، الإتيان 3/189.

(4) سورة التوبة 94.

(5) شرح الكافية رضي الدين الاسترأبادي 1/325 ، البرهان 4/442.

(6) اللغة العربية مبناها ومعناها ص 239.

(7) سورة الليل 15 ، 16.

(8) أمالي السهيلي ص 103 ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ط 1 مطبعة السعادة القاهرة 1390 - 1970م.

زيدًا أبا عمر بدلا من قولك ضربت زيدا وأبا عمر لأوهمت أنك ضربت زيدا الذي هو أبو عمر، وكأنك تجاوزت الاختصار إلى الانتهاك والإجحاف<sup>(1)</sup>.

ورأى بعض العلماء أن هذا الأسلوب يجوز في ضرورة الشعر، فالشاعر يقول - إذا اضطر - رأيت زيدا عمرا على غير البدل، ولكن على معنى: رأيت زيدا وعمرا<sup>(2)</sup>. وجوزه بعضهم في الحكاية عن المخاطبين إذا طالت: قال زيد قال عمرو<sup>(3)</sup>. وجعله ابن جني من الشاذ الذي لا يقاس عليه<sup>(4)</sup>.

### حذف المعطوف وحرف العطف:

وقد يحذف المعطوف مع واو العطف مع القرينة، كما إذا قيل: من الذي اشترك هو وزيد، قلت: اشترك عمرو. أي: اشترك عمرو وزيد، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا﴾<sup>(5)</sup>. أي: من قبل الفتح ومن بعد<sup>(6)</sup>.

ودليل التقدير أن الاستواء لا يكون إلا من شيئين، ودليل المقدر: ﴿الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾<sup>(7)</sup>.

ورأى بعض العلماء أن «حذف حرف العطف يقتضي حذف المعطوف، وذلك في مثل: (راكب الناقة طليحان) أي: راكب الناقة والناقة طليحان»<sup>(8)</sup>.

(1) سر صناعة الإعراب 2/233 (مخطوط).

(2) ما يجوز للشاعر في الضرورة ص 264.

(3) البرهان 4/108، وتأمل آية البقرة 258، الشعراء 3/24.

(4) سر صناعة الإعراب 2/233، و(مخطوط) الخصائص 2/90 وما بعدها.

(5) سورة الحديد 10.

(6) شرح كتاب الكافية في النحو. رضي الدين الأستراباذي 1/325.

(7) سورة الحديد 10 وانظر المغني 2/635.

(8) الخصائص 1/289 وما بعدها.

ورأى بعضهم أنه قد يحذف المعطوف فقط دون حرف العطف ، كما « في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِزَيْكَ فِي الْآرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(1)</sup> . أراد : ولا من في السماء»<sup>(2)</sup> .

ويسمى هذا الأسلوب عند الزركشي بالاكْتفاء ، ولا يريد بالاكْتفاء أن يكتفى بأحدهما (المعطوف أو المعطوف عليه) فقط ، وإنما لأن فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه<sup>(3)</sup> ، وذكر منه قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَأْتِ الْبَيْتَ وَالنَّهَارَ﴾<sup>(4)</sup> ؛ لأن السكون هو الأصل والحركة طارئة (عليه) فخصه بالذكر<sup>(5)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾<sup>(6)</sup> . أي : والشر . « ذكر الخير لكثرتة ، ولأن الشر غير مطلوب للعباد»<sup>(7)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾<sup>(8)</sup> أي : والشهادة ؛ لأن « الإيمان بكل منهما واجب وأثر الغيب ؛ لأنه أبدع ، ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس»<sup>(9)</sup> .

ويرفض أحد المحدثين المبالغة في هذا النوع من الحذف ، ولا سيما عندما يؤدي التقدير إلى زيادة في المعنى .

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في حديثه عن إعراب القرآن المنسوب

(1) سورة العنكبوت 22.

(2) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 217.

(3) البرهان 118/3.

(4) سورة الأنعام 13.

(5) البرهان 118/3.

(6) سورة آل عمران 26.

(7) البرهان 118/3.

(8) سورة البقرة 3.

(9) البرهان 118/3.

إلى الزجاج: «وعلى جودة اتجاه المؤلف نجده يقدر من المحذوف ما يصح أن يكون موضع النظر، بل ما نقطع بعدم صوابه في بعض الأمثلة، وهو ما حذر منه ابن جني وأمثاله»<sup>(1)</sup>.

ويعلق على التقدير الذي قدره الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(2)</sup> حين قدر: (وسبيل المجرمين) بعدها بقوله: «ونحن نرى أنه لا حذف؛ لأن استبانة سبيل المجرمين توضح النقيض، وهو سبيل المؤمنين، لذلك نقل الأستاذ الإياري في الهامش قول أبي حيان: (وقيل خص سبيل المجرمين؛ لأنه يلزم من استبانتها استبانة سبيل المؤمنين). وعليه فلا حذف»<sup>(3)</sup>.

### تكرر المعطوفات:

قد تشرك الواو بين معطوف عليه وعدة معاطيف بعدها، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ \* وَزَخْرَفًا﴾<sup>(4)</sup>.

وهذه الأسماء معاطيف على قوله: ﴿سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾. فلا يتعين أن توصف المعاطيف بكونها من فضة.

وقال الزمخشري: «سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة، كأنه

(1) التفسير النحوي للقرآن الكريم د. محمد رجب البيومي ص 157 بحث بمجلة الأزهر ج 2 سنة

1407هـ.

(2) سورة الأنعام 55.

(3) التفسير النحوي للقرآن الكريم ص 157.

(4) سورة الزخرف 33: 35.

يرى : اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه»<sup>(1)</sup>.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾<sup>(2)</sup>.

« جنات عطفت على نبات ، وكذا الزيتون والرمان معطوفان على نبات ، على القاعدة في تكرار المعطوفات أنها على الأول . وقيل : كل على ما قبله ، وينبغي على ذلك الخلاف ، فإذا قلت : مررت بك ويزيد وبعمر ، فإذا عطفت بعمرو على بك ، كان الإتيان بالباء واجبا ، وإذا عطفته على يزيد كان الإتيان بها جائزا»<sup>(3)</sup>.

### اجتماع حرفي عطف على معطوف واحد :

لا يجتمع حرفا عطف على معطوف واحد<sup>(4)</sup> ، ومتى رأيت حرفا من حروف العطف مع الواو فهي العاطفة دونه<sup>(5)</sup> ، ولا بد عند اجتماعهما من التفسير الدقيق للمعنى والاستعانة بالقرائن الأخرى لفهم الحرف العاطف من غيره.

ومما احتمل كونه من هذا الأسلوب قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴾<sup>(6)</sup> ،

يقول ابن هشام : « الفاء فيها وجهان :

(1) دراسات لأسلوب القرآن 589/3.

(2) سورة الأنعام 99.

(3) دراسات لأسلوب القرآن 589/3.

(4) نفسه 588/3.

(5) مفتاح الإعراب . محمد أحمد مرجان ص 84 ط 4 مطبعة صبيح بميدان الأزهر القاهرة 1963م.

(6) سورة البقرة 40.

أحدهما : أنها جواب أمر مقدر تقديره تنبهوا فارهبون ، وهو نظير قولهم :  
زيدًا فاضرب : أي : تنبه فاضرب زيدًا ، ثم حذف (تنبه) فصار : فاضرب زيدًا ،  
ثم قدم المفعول إصلاحًا للفظ .  
والقول الثاني : أنها زائدة<sup>(1)</sup> .

## 2 - المشاركة بالواو في عطف البيان ومعنى المغايرة :

رأى بعض العلماء أن عطف البيان أصله عطف النسق : « فأصل : جاء  
أخوك زيد . جاء أخوك وهو زيد ، وحذف الضمير والحرف وأقيم زيد مقامه ،  
وذلك لا يكون في غير الأسماء الظاهرة »<sup>(2)</sup> .

ومعروف أن المؤكد اللفظي يأتي بعد المؤكد دون فصل بينهما ، ولكن  
أحيانًا يأتي حرف العطف بين المؤكد اللفظي والمؤكد<sup>(3)</sup> .  
وفي القرآن الكريم قد تأتي الواو بين الجملة والجملة التالية لها المنزلة منها  
منزلة التوكيد .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ  
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾<sup>(4)</sup> .

أشركت الواو بين جملة ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ وما قبلها وهو : ﴿ وَإِذْ  
أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ . والميثاق هنا هو الميثاق هناك ، والأخذ هنا هو الأخذ  
هناك ، ولكنه عطف مرة أخرى ليوهم أنه لما وصف بالغلظ صار ميثاقًا آخر ،

(1) مغني اللبيب 1/166 .

وانظر دراسات لأسلوب القرآن 3/588 .

(2) همع الهوامع 2/121 .

(3) الفوائد الضيائية 2/46 .

(4) سورة الأحزاب 7 .

وذلك تفخيم لشأن الميثاق وتنويه به<sup>(1)</sup>.

ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾<sup>(2)</sup>.

فقد أشركت الواو بين (نجيناهم) و(نجينا هودا) وإن كانت النجاة واحدة ، وذلك أنه لما ذكر ما نجاهم عنه كانت النجاة الثانية كأنها مختلفة عن الأولى ، فعطفها عليها تمييزا لها تفخيما لشأنها<sup>(3)</sup>.

وفي قوله تعال : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

« ونجد أمثال هذا يأتي في القرآن بغير الواو كثيرا ، وقد أذنت هذه الواو أن ذلك عادة من عاداتهم ، ووجه هذه الدلالة أن الواو تشير إلى المغايرة ، فكأنهم يفعلون ذلك ويفعلون مثله»<sup>(5)</sup>.

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الزَّبْحُ ءَامِنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ﴾<sup>(6)</sup>. وقوله تعالى : ﴿يَتَرَمَّبُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(7)</sup> « ووجه الواو في ذلك هو أن ما فيها من معنى التغاير الذي لا يبرحها (في مثل هذه التراكيب) ينعكس على هذه الجمل ، فيوهم أنها معان متميزة ومختلفة ، ووراء كل ذلك أسرار لطيفة يحلو بها مذاق

(1) دلالات التراكيب 324.

(2) سورة هود 11.

(3) دلالات التراكيب 324.

(4) سورة النمل 34.

(5) دلالات التراكيب 325.

(6) سورة الحشر 18.

(7) سورة آل عمران 42.

الكلام، فإذا كان الأمر الثاني بالتقوى غير الأمر الأول، كان وراء ذلك إعلاء لشأن التقوى واهتمام بالأمر بها، وكأنه يتجدد مرتين. وقل مثل ذلك في ﴿أَصْطَفَيْنَاكَ﴾، وكأن الله اصطفاك أولاً، ثم رجع فاصطفاك ثانياً، وفي هذا من التكريم ما لا يخفى<sup>(1)</sup>.

أضف إلى ذلك ما أضافه هذا النوع من المشاركة بالواو بين الجملتين من معاني القوة والمبالغة والتوكيد، فصار التركيب بأكمله متميزاً.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾<sup>(2)</sup> فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ معطوف على قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وكأنه مكمل له.. وقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ كأنه توكيد لما قبله، وبهذا تكون هذه الجملة في حيز التوكيد، لأنها تأخذ حكم ما عطفت عليه، ثم إنك حين تتأمل اتباع الظن والخرص الذي هو التخمين تجدهما من باب واحد، وهذه الواو الداخلة بينهما مؤذنة بتغايرهما، وكأنها أوهمت أن قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ صفة جديدة مغايرة للتي قبلها، ومستقلة في إبراز حالة أخرى من أحوال القوم.

وهذا ضرب من تأكيد المعنى الأول؛ لأنك حين تعود إليه تجده هو وكأنه لأهميته ذكر مرتين، ويتجدد تلقيه في كل واحدة منهما، وهذا لا يكون لو قال: (إن يتبعون إلا الظن فإن هم إلا يخرصون) بسقوط الواو؛ لأنها حينئذ ستكون هي الجملة الأولى، واتصالها بها اتصال الشيء بنفسه، أما الواو فقد أحدثت ضرباً من الإثارة لأنها آذنت بالمغايرة، فإذا جد النظر للنظر على وجه

(1) دلالات التراكيب 325.

(2) سورة الأنعام 116.

المغايرة وجد الثانية هي الأولى ، وبذلك يتجدد وعيه بالمعنى ويلقاه بإيقاظ جديد<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>. وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ في آية البقرة بيان للعذاب قبله ، فجاء بغير الواو ، وفي آية إبراهيم جاء بالواو ، فكأنه قال : يعذبونكم بالذبح وبغير الذبح<sup>(4)</sup>. فأشعرت الواو بالمغايرة ، وكان العذاب أنواع متعددة مما يعطي المنع قوة وتوكيدا.

وقل مثل ذلك في قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾<sup>(5)</sup>. من غير واو في حكاية ما قالته ثمود لصالح - عليه السلام - وجاء في حكاية ما قاله أصحاب الأيكة لشعيب: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾<sup>(6)</sup>.

بالواو. يقول الزمخشري: «إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسخير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا، ولا يجوز أن يكون بشرا، وإذا تركنا الواو لم يقصد إلا معنى واحد،

(1) دلالات التراكيب 326.

(2) سورة البقرة 49.

(3) سورة إبراهيم 6.

(4) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل ص 13، معاني القرآن للفراء 68/2.

(5) سورة الشعراء 154.

(6) سورة الشعراء 153، 154.

وهو كونه مسحرا، ثم تقرر بكونه بشرا<sup>(1)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(2)</sup> « حددت الواو ثلاثة صور متغايرة في كل واحدة من الشناعة والبشاعة ما يجعلها شيئا قائما برأسه<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(4)</sup> وقال في سورة الأعراف: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(5)</sup>. كأنه جعل زيادة المحسنين نعمة أخرى، أما في الثانية آية الأعراف فجعل زيادة المحسنين هي نفس الأجر الأول، وهو غفران الذنوب<sup>(6)</sup>. وقد تشرك الواو جملة بجملة أخرى قبلها لمعان تتعلق بالجملة الأولى مثل ما سبق من معاني المتغايرة وتقوية المعنى وتوكيده، فهي قد تشرك بين الجملة التالية لها والجملة قبلها للتذييل والتتيم.

ففي التذييل: يوتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه، فيكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا الْكُفُورَ﴾<sup>(7)</sup>.

أي: هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور. فإن جعلت

(1) تفسير الكشاف 3/123، وانظر دلالات التراكيب 325، الفصل والوصل 95.

(2) سورة الرعد 5.

(3) البرهان 3/12، دلالات التراكيب 325.

(4) سورة البقرة 58.

(5) سورة الأعراف 161.

(6) دلالات التراكيب 297.

(7) سورة سبأ 17.

الجزء عاما كان الثاني مفيدا فائدة زائدة<sup>(1)</sup>.

ومثله قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾<sup>(2)</sup> . وقوله تعالى :

﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾<sup>(3)</sup> .

أما الفائدة الثانية وهي التميم : فهي تكون عندما يتم الكلام فيلحق به ما يكمله ؛ إما مبالغة أو احترازا ، أو احياطا كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾<sup>(4)</sup> .  
فقوله : ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ تميم<sup>(5)</sup> للجملة قبلها ، أو هو تميم للمعنى . وهذا الأسلوب قريب في شكله من الاعتراض الذي سيناقدش في الفصل الثاني ، (واو الاستئناف)<sup>(6)</sup> ، ولكنه يختلف عنه في المعنى ؛ إذ إن الجملة المتممة هنا بيان للجملة الأولى ، وكأنها هي نفسها في المعنى .

### 3 - معاني المشاركة بين العام والخاص :

وهنا تبرز معاني متعددة ومتجاورة في الأسلوب الواحد ، كمعاني التمييز ، والتخصيص ، والتوكيد :

كثيرا ما نجد في كتب النحو القول التالي<sup>(7)</sup> : « ومن خصائص الواو : عطف

العام على الخاص وبالعكس :

(1) تفسير الكشاف 3/285 ، وانظر البرهان 3/618 ، دلالات التراكيب 297.

(2) سورة المؤمنون 16.

(3) سورة الأعراف 133.

(4) سورة النساء 124.

(5) البرهان 3/70.

(6) انظر الاعتراض بالواو في الفصل الثاني واو الاستئناف.

(7) انظر : كتاب الاستعلام عن معاني الحروف ص 21 (معجم الهوامع 2/129 ، الإتيان 2/156 ، 3/213 ،

الأشبه والنظائر في النحو 2/125 ، مغني اللبيب 3/356.

فالأول نحو: ﴿رَبِّ أَعْفَرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾<sup>(1)</sup>.

والثاني نحو: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾<sup>(2)</sup>. ولهذا الأسلوب دلالاته التي تتعلق بالمعنى، يقول ابن جني: «لا تقل: جاء القوم وزيد، وقد جاء زيد معهم؛ لأن الشيء لا يعطف على نفسه، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾<sup>(3)</sup>. لا يكون جبريل وميكايل داخلين في جملة الملائكة؛ لأنهما معطوفان عليهم، فلا بد أن يكونا خارجين منهم. فأما قوله:

أكر عليهم دعلجا ولبانه إذا ما اشتكى وقع الراح نحمحما<sup>(4)</sup>  
فيروى (لبانه) رفعا ونصبا، فمن رفع فلا نظر فيه؛ لأنه مبتدأ وما بعده خبر عنه، وأما النصب فعلى أنه أخرج من الجملة (لبانه) ثم عطف عليه، وساغ له ذلك لأنه مازه من جملة إكبارا له وتفخيما منه. كما ماز جبريل وميكايل من جملة الملائكة تشريفا لهما، وكذلك قوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾<sup>(5)</sup>. ليس في جملة ما دل عليه الموعد لما قدمناه، كأنه مميز من الزينة في اعتقادك إياه مجرورا، لأنه معطوف عليها<sup>(6)</sup>.

فابن جني - فيما سبق - رأى أن ذلك إخراج للخاص من جملة العام، ثم عطفه عليه، وذلك بغرض التأكيد والتمييز والتشريف، ولكن بعضهم رأى أنه

(1) سورة نوح 28.

(2) سورة الأحزاب 7.

(3) سورة البقرة 98.

(4) ينسب لعامر بن الطفيل انظر: معجم شواهد العربية 330/1، المحتسب 53/2.

(5) سورة طه 59 والآية كلها: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

(6) المحتسب 53/2.

ليس هنا إخراج للخاص من جملة العام، بل هو في جملتهم، ثم ذكر مرة أخرى لتأكيدِه وتشريفه. قال أبو حنيفة ليونس: يا أبا عبد الرحمن: علمت أن الرمان ليس من الفاكهة؟

قال: لم؟

قال: لقوله عز وجل: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾<sup>(1)</sup>.

قال يونس: فجبريل وميكايل إذن ليسا من الملائكة، لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾<sup>(2)</sup>؟

قال: فكيف ذلك؟

قال: إن الله عز وجل إذا خص الشيء بالفضل أدخله في الجملة، ثم أبانه بالاستثناء وأفرده بالذكر<sup>(3)</sup>.

وبعضهم لم يتحدث عن إخراجهم من جملة الملائكة أو إدخالهم، وإنما رأى في ذلك تخصيصًا للتنبيه على فضل المخصص، وأهميته<sup>(4)</sup>، وتشريفه وتوكيده<sup>(5)</sup>، للإشعار بالتغاير كأنه من جنس آخر، وهو مما ذكر من أن التغاير في الوصف تغاير في الذات<sup>(6)</sup>، وهو ليس تكريرًا لمجرد التأكيد، وإنما يكون فيه تنبيه إلى قيمة المخصص، كالتنبيه إلى قيمة عمل الصالحات من الإيمان<sup>(7)</sup>، في مثل

(1) سورة الرحمن 68.

(2) سورة البقرة 98.

(3) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية 222.

(4) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 316/1، تفسير الرازي 214/3 دار الفكر للطباعة والنشر ط1 لبنان 1401هـ، والإتقان 213/3.

(5) الفصل والوصل في القرآن الكريم ص 453.

(6) تفسير الكشاف 300/1، البرهان 1046/28.

(7) التفسير البياني للقرآن الكريم د. عائشة عبد الرحمن 90/2.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(1)</sup>.

وبعضهم اشترط لهذا الأسلوب من أساليب المشاركة، أن يكون المعطوف بالواو، وأن يكون المعطوف ذا مزية، وكأنه مجرد من الجملة وأفرد بالذكر تفصيلاً<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا فإنه من جعل العام يشمل الخاص الذي عطف عليه (لا) فهو نظير قولنا: نعم الرجل زيد. وإذا كان العام لا يشمل ذلك الخاص أي أن الخاص أخرج منه وأفرد بالذكر «فهو نظير الاستثناء في نحو قولنا: قام القوم إلا زيدا. من أن زيدياً لم يدخل في القوم»<sup>(3)</sup>. وسواء كان الخاص من جملة العام ثم أخرج منه، أو هو تجريد من الجملة الأولى ثم ذكر بعد ذلك، أو أنه ذكر مرة أخرى لتأكيد، فالواو في هذا الأسلوب للمشاركة التي تعطي معاني التأكيد والتخصيص والمغايرة والتشريف، والتميز، والتفضيل، وإظهار قيمة هذا الخاص الذي قد يكون في جملة العام المعطوف عليه في آيات معينة، وقد يكون مستقلاً بالواو في آيات أخرى.

ومن عطف الخاص على العام - أيضاً - قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾<sup>(4)</sup>.

قالوا: الصلاة الوسطى: العصر، وهو أكثر الرواية، وقيل: إنها الغداة، وقيل: إنها الظهر، والله قد أمر بالمحافظة على جميع الصلوات إلا أن هذه الواو إذا جاءت مخصصة فهي دالة على فضل الذي تخصصه<sup>(5)</sup>.

(1) سورة العصر 2.

(2) انظر البرهان 2/465.

(3) نفسه 2/465.

(4) سورة البقرة 238.

(5) معاني القرآن وإعراجه للزجاج 1/316.

ورأى الزركشي أن المراد من الصلاة الوسطى غير ذلك ، فالمراد غيرها كالوتر والضحي والعيد ، فهي ليست من هذا الباب<sup>(1)</sup>.

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾<sup>(2)</sup>.  
فالتمسك بالكتاب يشمل كل عبادة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(3)</sup>.

ومنه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾<sup>(4)</sup>. وذكر كثير من النحاة أن هذا الأسلوب من خصائص الواو ، إلا أنه سيق عن مالك وآخرين مجيئه في (أو) في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾<sup>(5)</sup>. مع أن ظلم النفس من عمل السوء ، فقيل : هو بمعنى الواو .  
المعنى : يظلم نفسه بذلك السوء حيث دساها بالمعصية .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾<sup>(6)</sup>. فإن الوحي مخصوص بمزيد قبح من بين أنواع الافتراء . خص بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه والإثم .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾<sup>(7)</sup>. مع أن فعل الفاحشة داخل فيه ، قيل : أريد به نوع ظلم النفس ، وهو الربا ، أو كل

(1) البرهان 466/2.

(2) سورة الأعراف 160.

(3) سورة آل عمران 104.

(4) سورة محمد 2.

(5) سورة النساء 110.

(6) سورة الأنعام 93.

(7) سورة آل عمران 135.

كبيرة فخص بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحة، وأريد بظلم النفس ما وراء ذلك من الذنوب<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ في الآيات السابقة قرب معنى (أو) فيها من معنى الواو<sup>(2)</sup>.

أما عطف العام على الخاص، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾<sup>(3)</sup>. فيتضح فيه من ذكر الخاص في البداية أنه بدئ به لأهميته، ولأنه أولى بالتقديم<sup>(4)</sup>. وفيه ما في عطف الخاص على العام من المعاني وزيادة أخرى، وهي التقديم «فالفائدة فيه واضحة»<sup>(5)</sup>.

كما قال الزركشي واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾<sup>(6)</sup>. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾<sup>(7)</sup>. وذكر آيات أخرى<sup>(8)</sup>، ثم قال: «واعلم أن هذين النوعين يقعان في الأسماء والأفعال، ولكن وقوعهما في الأفعال لا يأتي إلا في النفي، وأما في الإثبات فليس من هذا الباب، بل من عطف المطلق على المقيد أو المقيد على المطلق»<sup>(9)</sup>.

(1) البرهان 470/2 وما بعدها.

(2) يناقش ذلك في الفصل السابع «الواو ومعاني الحروف».

(3) سورة نوح 28.

(4) انظر الإتيان 213/3، وانظر ص 47م هذا الفصل دلالة الترتيب في واو العطف.

(5) البرهان 471/2.

(6) سورة الأنعام 162.

(7) سورة التوبة 78.

(8) انظر البرهان 471/2 وما بعدها.

(9) نفسه، 471/2 وما بعدها.

4 - المشاركة بين الصفة والموصوف ومعاني المغايرة والتوكيد :

وهو من خصائص الواو<sup>(1)</sup>. وقد عدّه الدكتور محمد عبد الخالق عزيمة من عطف الصفات<sup>(2)</sup>، وجعل الزمخشري الواو فيه للمغايرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾<sup>(3)</sup>. أي «الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة». كقولك: رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْفِقِينَ﴾<sup>(4)</sup> يعني: الجامع بين كونه فرقانا وضياءً وذكرى<sup>(5)</sup>.

وواضح أن الفرقان معطوف على الكتاب، ولو أنه أسقط الواو لكان صفة، ثم إنه من ناحية المعنى وصف للكتاب، ولكن معنى التغاير الذي لا يبرح الواو أو هم أنه شيء آخر، وذلك ليميز صفة كونه فرقانا، وكأنه بها يستقل عن سابقه<sup>(6)</sup>.

ويسمى المزني هذه الواو في هذا الأسلوب من أساليب المشاركة بها: واو الصلة، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾<sup>(7)</sup>. ويقول عن واو الصلة: إنها الزائدة<sup>(8)</sup>.

(1) الإتيان 2/256، 3/213، همع الهوامع 2/129، الأشباه والنظائر في النحو 2/125، ومغني اللبيب 2/356، حروف المعاني عبد الحي حسن كمال ص 74.

(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 3/584.

(3) سورة البقرة 53.

(4) سورة الأنبياء 48.

(5) تفسير الكشاف 1/282، وانظر دلالات التراكيب 297.

(6) دلالات التركيب 297.

(7) سورة الأنبياء 48.

(8) المصنفات في حروف المعاني د. محمد عامر ص 82 رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة برقم 3709.

ورأى الفراء أن ﴿ضِيَاءٌ﴾ . من صفة الفرقان ، ومعناه : آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً وذكرنا ، فدخلت الواو كما قال : ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَمَاءُ الَّذِينَ بَرِينَةُ الْكُوكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا﴾ (1) جعلنا ذلك وكذلك ضياءً وذكرى (2) .

ورأى بعض العلماء أن الواو لا تدخل بين الصفة والموصوف ، فلا تقول : جاء زيد الكريم ، على أن الكريم هو زيد لاستحالة عطف الشيء على نفسه (3) . ولكن - كما رأينا - تأتي الواو في تراكيب معينة لأداء معنى المشاركة بين الصفة وموصوفها ، فتنبثق معاني التكثير والمبالغة والتأكيد والتغاير .

يقول الرمخشري في قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (4) .

« دخلت الواو على جملة : ﴿وَأَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ . وتسمى واو الثمانية (5) . وهي هنا تفيد لصوقها بالموصوف ، فأذنت بثبات هذه الصفة وصوابها ، وأشارت إلى أن الذين قالوا هذا هم الذين أصابوا في عدتهم ، وأنهم قالوا عن ثبات وعلم وطمأنينة نفسن . ولذلك جاء عقيب القولين الأولين بقوله : ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ . وجاء عقيب هذا قوله : ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (6) .

وقال ابن عباس : حين وقعت الواو انقطعت العدة ، أي : لم يبق هناك عدة

(1) سورة الصافات 37 .

(2) معاني القرآن للفراء 205/2 .

(3) دلالات التراكيب 295 .

(4) سورة الكهف 22 .

(5) تناقش « الواو مع العدد الثامن » بالتفصيل في الفصل الخامس من هذه الدراسة (الواو الزائدة) .

(6) تفسير الكشاف 479/2 ط دار المعرفة وانظر : الإتيان 257/2 ، البرهان 438/2 ، دلالات التراكيب

عاد يلتفت إليه ، وقال : أنا من القليل الذين قال الله عز وجل : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾<sup>(1)</sup>.

وقد تزداد الواو بعد (إلا) لتأكيد الحكم المطلوب إثباته ، نحو : (ما من أحد إلا وله طمع وحسد)<sup>(2)</sup> ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾<sup>(3)</sup> « الواو هنا دخلت على جملة صفة لنكرة موصوفة وهي (شيئا) وقالوا : إنها أفادت لصوق الصفة بالموصوف وتأكيد ذلك »<sup>(4)</sup> .  
وقد رفض بعض العلماء ذلك ، وعد الواو هنا للحال<sup>(5)</sup> .

### 5 - المشاركة بين الصفات ومعاني المغايرة والتمييز :

رأينا - فيما سبق - أن الواو قد تدخلنا بين شيئين ، هما في الحقيقة شيء واحد ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ﴾<sup>(6)</sup> . وهو إله واحد ، ولكن كلمة

(إله) لما أضيفت لما بعدها أصبحت في حكم الصفة ؛ لذا فإن الواو هنا أفادت المشاركة بين الصفتين ، ولأن السؤال (فيها) عن صفة المعبود ، كما تقول : ما زيد؟ تريد أفضيه أم طيب أم غير ذلك من الصفات<sup>(7)</sup> . ويسمى هذا المزني واو النعت أو دليل النعت<sup>(8)</sup> . ومثل ذلك قول الشاعر :

(1) معاني القرآن للقرآني 138/2 ، دلالات التراكيب 295.

(2) مفتاح الإعراب محمد أحمد مرجان ص 77.

(3) سورة البقرة 216.

(4) مغني اللبيب 362/2 وما بعدها.

(5) نفسه 362/2 وما بعدها.

(6) سورة البقرة 133.

(7) تفسير الكشاف 314/1.

(8) المصنفات في حروف المعاني ص 81.

إن الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم<sup>(1)</sup>  
«عطفه بالواو وهو يريد شيئاً واحداً، ومثله في الكلام: أتانا هذا الحديث  
عن أبي حفص والفروق، وأنت تريد عمر بن الخطاب - رحمه الله<sup>(2)</sup> - وهو  
كذلك في الجمل، فالعلاقة إذا قويت بين الجملتين اتصلتا من ذات نفسيهما،  
وتداخلتا، وصارتا كالشيء الواحد، فإذا أدخلت الواو بينهما، كأنك عهدت  
إلى جسم غريب فأدخلته بين الشيء ونفسه ما لم يكن لك من وراء ذلك  
مغزى<sup>(3)</sup>».

وهذا الأسلوب من أساليب المشاركة قليل في صفات الخالق؛ لأن أبرز ما  
فيها هو الدلالة على الذات التي لا تتعدد<sup>(4)</sup>.

وقد جاء بين صفات الخالق في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ  
وَالْبَاطِنُ﴾<sup>(5)</sup>. بالواو لأنها متضادة في المعاني في أصل موضوعها، فلهذا  
«جاءت الواو رافعة لتوهم من يستبعد ذلك في ذات واحدة؛ لأن الشيء الواحد  
لا يكون ظاهرًا باطنًا من وجه واحد، فلأجل هذا حسن العطف<sup>(6)</sup>». وفي قول  
امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل<sup>(7)</sup>

(1) معاني القرآن للفراء 1/105، 2/58 المصنفات في حروف المعاني ص 81 والبيت غير موجود في  
معجم شواهد العربية.

(2) معاني القرآن للفراء 1/105، 2/58.

(3) دلالات التراكيب ص 312.

(4) نفسه ص 297.

(5) سورة الحديد 3.

(6) البرهان 2/446، وانظر دلالات التراكيب ص 299.

(7) ديوان امرئ القيس ص 52 دار صادر بيروت 1377هـ 1958م، موسوعة الشعر العربي ص 231، همع

الهوامع 1/260، مغني اللبيب 1/154، شرح شذور الذهب ص 107، معجم شواهد العربية 1/305.

المراد أن هذه الصفات تجتمع على الفرس من غير أن تكون مستقلة ومتغايرة يجمعها جامع ، وهذا يعني أنها تلتقي معا ، وهذا هو سر حسنها في وصف الفرس ، وبيان أن ذلك يكون منه في وقت واحد ، ولو أنه قال : مقبل ومدبر . لما جاز أن يقول : معا ، لأن الواو تؤذن بتمايز الحدين واستقلالهما ، ألا تراك تقول : هو قائم قاعد . فتوهم أن الوصفين يلتبسان معا ، كأنه يقوم في حال القعود ، فإذا قلت : هو قائم وقاعد . لم يكن ذلك ، وإنما كان على التواتر والتعاقب<sup>(1)</sup>.

أضف إلى ذلك ما يمكن أن يفيد حذف الواو هنا من الدلالة على السرعة الشديدة لحركات الفرس<sup>(2)</sup>.

وفي قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾<sup>(3)</sup> . «أي :

تخفض وترفع في زمن واحد ، ويقع منها الفعلان معا ، ولو قال : (خافضة ورافعة) . لم يكن ذلك ، وتقول : هو غاضب ساخط وفرح طروب . فإذا أدخلت الواو أفدت شيئا آخر ، هكذا تجهر الواو دائما (في مثل هذا الأسلوب من المشاركة) بالتمايز والتغاير<sup>(4)</sup> . والواو لا تقع بين الصفات المتضادة فقط كما رأى بعضهم<sup>(5)</sup> ، ففي قوله تعالى : ﴿غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾<sup>(6)</sup> «لم تقع الواو بين صفتين متضادتين ، وقد جمعت للمؤمن بين رحمتين»<sup>(7)</sup>.

(1) دلالات التراكيب ص 302 وانظر : من أسرار التعبير القرآني . دراسة تحليلية في سورة الأحزاب د .

محمد أبو موسى ص 217 القاهرة 1976م.

(2) انظر ص 25 من التمهيد لهذه الدراسة.

(3) سورة الواقعة 2: 3.

(4) دلالات التراكيب ص 300.

(5) نفسه ص 200.

(6) سورة غافر 3.

(7) تفسير الكشاف 413/3 الفصل والوصل في القرآن ص 224.

فمعرفة سر مجيء الواو حين تجميء، وسر تركها حين تترك بين أن «تركها لا يكون عبثاً في الكلام الصادر عن سليقة صحيحة، وإنما وراءه غمغمة بما تعتلج به القلوب»<sup>(1)</sup>. فما بالك بالقرآن العظيم وأسلوبه المعجز؟

وقد تشرك الواو بين جملة الصفة والجملة التي قبلها<sup>(2)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(3)</sup> بعد قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

وتفيد المشاركة بالواو بين الصفات الدلالة على الكمال في كل صفة وتباين تلك الصفات<sup>(5)</sup>. وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾<sup>(6)</sup>.

أما ورود الصفات بغير واو في قوله تعالى: ﴿التَّائِبِينَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْرِمُونَ الْمُكْرِمُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(7)</sup>، للإشارة إلى أنهم جامعون لتلك الخصال<sup>(8)</sup>.

«فالأمر والنهي متقابلان؛ لذا جاءت بينهما الواو»<sup>(9)</sup>.

وحاول بعض العلماء إثبات تضاد بين الصفتين ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(1) دلالات التراكيب ص 300.

(2) البرهان 474/2.

(3) سورة البقرة 4.

(4) سورة البقرة 3.

(5) تفسير الكشاف 417/1، دلالات التراكيب ص 298، دراسات لأسلوب القرآن 584/3.

(6) سورة آل عمران 17.

(7) سورة التوبة 112.

(8) تفسير الكشاف 216/2.

(9) مغني اللبيب 363/2.

وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١﴾ . ولكن المعنى على غير التضاد ، فالأمرون بالمعروف هم الناهون عن المنكر أما في ﴿ثَبِّتِ وَأَبْكَرَا﴾<sup>(1)</sup> . فالواو بين الصفتين ضرورية ؛ لأن هاتين الصفتين لا يجتمعان في شخص واحد<sup>(2)</sup> ، وعطف الصفات لا يقتصر على بيان الكمال في كل صفة<sup>(3)</sup> ، وإظهار التباين بين الصفتين فحسب ، ولكن أيضًا يكون لدلالات أخرى ؛ كبيان زيادة الصفة المعطوفة عن المعطوف عليها ، كما في قوله تعالى : ﴿بَنِيَّ ءَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَيْنِكُمْ وَرِيثًا﴾<sup>(4)</sup> .

وذهب معظم علماء العربية إلى أن هذا الأسلوب من أساليب المشاركة تختص به الواو<sup>(5)</sup> .

فالواو في ذلك أفضل من الفاء ؛ لأن الواو للجمع<sup>(6)</sup> ، ومعنى المشاركة قريب من معنى الجمع ، ولكن قد تأتي الفاء في مثل ذلك ، أي : بين الصفات إذا كانت للتراخي قال الشاعر :

يا لهف زيابة للحارث الـ صابح فالغانم فالآيب<sup>(7)</sup>  
 « فلما كانت هذه الصفات متراخية حسن العطف بالفاء ؛ لأن الصابح قبل الغانم والغانم قبل الآيب ، ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة في الموصوف ، فلا يحسن أن يقال : عجبت من فلان الأزرق العينين ، فالأشم

(1) سورة التحريم 5.

(2) مغني اللبيب 2/ 263 ، دلالات التراكيب 299.

(3) كما سبق في آية آل عمران 17.

(4) سورة الأعراف 26.

(5) انظر الإتيان 2/ 256 ، 3/ 213 ، همع الهوامع 2/ 129 ، الأشباه والنظائر 2/ 125 ، مغني اللبيب 2/

356 ، حروف المعاني عبد الحي حسن كمال ص 74 ودراسات لأسلوب القرآن 3/ 524.

(6) الكتاب 1/ 399 ، الفصل والوصل ص 500.

(7) ينسب لابن زيابة مغني اللبيب 1/ 163 ، شرح الكافية 1/ 3189 ، خزنة الأدب 5/ 1067.

الأنف ، فالشديد الساعد إلا على وجه يبعد ؛ لأن زرقة العينين ، وشم الأنف ،  
 وشدة الساعد قد اجتمعن في الموصوف «<sup>(1)</sup>.  
 «وللفاء مع الصفات ثلاثة أحوال :

- أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود كالبيت السابق :
- وأن تدل على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولهم أخذت  
 الأكمل فالأفضل.
- وأن تدل على ترتيب موصوفاتها نحو : «رحم الله الخلقين فالمقصرين»<sup>(2)</sup>.

#### 6 - المشاركة بالواو بين المترادفات ومعانيها :

الأصل في العطف أن يكون للألفاظ المختلفة أو المتضادة لإفادة معان خاصة  
 - كما سبق - تختلف من تركيب إلى آخر ، وإذا كان حرف العطف يستدعي  
 معناه ألا يكون معطوفه هو المعطوف عليه<sup>(3)</sup> ، إلا أنه قد تعطف المترادفات<sup>(4)</sup> ،  
 لإفادة معان كالتي رأيناها في المشاركة بين العام والخاص ، وغير ذلك من  
 الأساليب المشابهة.

وقد أنكر بعض العلماء عطف المترادفات ، وقالوا : إنه لا فائدة فيه<sup>(5)</sup> ، وذكر  
 بعضهم أنه بذلك يكون قد تجرد من العطف<sup>(6)</sup> . ولعلمهم ممن ينكرون أصل

(1) شرح كتاب الكافية . رضي الدين 1/309 ، خزاعة الأدب 5/107.

(2) مغني اللبيب 1/163 ولفظ الحديث في صحيح البخاري باب الحج 213 ، اللهم ارحم الخلقين

قالوا : والمقصرين قال : والمقصرين.

(3) الفصل والوصل في القرآن 146.

(4) انظر : الإتقان 2/257 ، 2/211 وما بعدها.

(5) البرهان 2/476.

(6) نفسه 2/471.

الترادف - وقد أولوا ما جاء من عطف المترادفات باختلاف المعنيين<sup>(1)</sup>. والذين قالوا بجوزا المشاركة بين المترادفات بالواو بحثوا عن فروق دقيقة بين المعنيين. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة من هذا النوع من المشاركة<sup>(2)</sup>. منها :  
 قوله تعالى : ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾<sup>(3)</sup>. « فالخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما ، ولا شك أن الخشية أعلى من الخوف ، وهي أشد الخوف ، فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خشية : إذا كانت يابسة ، وذلك فوات بالكلية والخوف من قولهم : ناقة خوفاء : إذا كان بها داء ، وذلك نقص وليس بفوات ، ومن ثمة خصت الخشية بلله تعالى في قوله السابق<sup>(4)</sup> .

وفرق بينهما أيضًا بأن « الخشية تكون من عظم الخشي » ، وإن كان الخاشي قويا ، والخوف يكون من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف يسيرا<sup>(5)</sup>. ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا ﴾<sup>(6)</sup>. « والوهن والضعف واحد<sup>(7)</sup> والوهن أشد من الضعف .

ويقال مثل ما سبق في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾<sup>(8)</sup>. أي : مغفرة قال النبي ﷺ : « اللهم صل على آل أبي أوفى »<sup>(9)</sup>.

(1) نفسه 472/2.

(2) تأمل الآيات : البقرة 157، طه 112، الزخرف 80، الأحزاب 12، 67، المدثر 22، 28.

(3) سورة الرعد 21.

(4) البرهان 78/5.

(5) البرهان 78/4.

(6) سورة آل عمران 146.

(7) شرح المفصل 10/1، والبرهان 472/2.

(8) سورة البقرة 157.

(9) صحيح البخاري 96/8.

يريد: «ارحمهم واغفر لهم»<sup>(1)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾<sup>(2)</sup>. قال الخليل: «العوج والأمت واحد»<sup>(3)</sup>. ويقول ابن هشام في قول الشاعر:

وقدمت الأديم لراهشيه وألغى قولها كذبا ومينا<sup>(4)</sup>

«وزعم بعض العلماء أن رواية البيت (كذبا مينا) فلا عطف ولا توكيد، ولك أن تقدر الأحلام في حديث الرسول ﷺ: «لينني منكم ذوو الأحلام والنهي»<sup>(5)</sup>. جمع حُلُم بضمتهين فالمعنى: ليلني البالغون العقلاء»<sup>(6)</sup>.

مما سبق يمكن القول بأن فائدة المشاركة بين المترادفات في التراكيب السابقة هي التوكيد<sup>(7)</sup>؛ يقول الزجاج: قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>(8)</sup>. قال بعضهم الشريعة: الدين، والمنهاج: الطريق.

وقيل: الشريعة والمنهاج جميعا الطريق، والطريق ههنا الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أتى منه بألفاظ تؤكد بها القصة، والأمر نحو قول الشاعر:

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأوفر بعد أم الهيثم<sup>(9)</sup>

فإن معنى أقوى وأوفر يدل على الخلوة إلا أن اللفظين أوكد في الخلو من لفظ واحد.

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 460، مغني اللبيب 357/2.

(2) سورة طه 107.

(3) البرهان 472/2.

(4) ينسب لعدي بن زيد، معجم شواهد العربية 383/1، وانظر مغني اللبيب 357/2.

(5) صحيح مسلم بشرح النووي باب الصلاة 4/154، وروايته ليلني أولو الأحلام والنهي.

(6) مغني اللبيب 357/2.

(7) انظر: الإتيان 3/211 وما بعدها.

(8) سورة المائدة 48.

(9) ينسب لعنترة: موسوعة الشعر العربي ص 537، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج 203/2.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : شرعة معناها : ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستمر ، قال : وهذه الألفاظ إذا تكررت في مثل هذا فللزيادة في الفائدة ، قال : وكذلك قول الحطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند      وهند أتى من دونها النأي والبعد<sup>(1)</sup>  
 قال : النأي لكل ما قل بعده عنك ، أو كثر كأنه يقول : النأي المفارقة قلت أو كثرت ، والبعد إنما يستعمل في الشيء البعيد ، ومعنى البعدي عنده ما كثرت مسافة مفارقتة ، كأنه يقول : لما قرب منه هو ناء عني ، وكذلك لما بعد عنه ، والنأي عنده المفارقة<sup>(2)</sup> . ويذكر الزركشي ما يفيد أيضًا أن هذا الأسلوب يفيد معاني التوكيد أو زيادة الفائدة على حد قولهم ، يقول : « ومما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع (من المشاركة) أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما ، فإن التركيب يحدث معنى زائدا ، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ<sup>(3)</sup> .

وقد قال كثير من العلماء بأن هذا الأسلوب تختص به الواو<sup>(4)</sup> ، ولكنه قد يأتي بغير الواو « ففي قوله تعالى : ﴿ شُورًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾<sup>(5)</sup> . عطف المترادفين بغير الواو<sup>(6)</sup> . ومثله ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾<sup>(7)</sup> عطف بأو<sup>(8)</sup> .

(1) ينسب للحطيئة : انظر ديوان الحطيئة ص 39 بشرح أبي سعيد السكري دار صادر بيروت 1967 ،

معاني القرآن وإعرابه للزجاج 2/203 ، همع الهوامع 2/88 ، معجم الشواهد العربية 1/100 .

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 3/203 ، وانظر : شرح المفصل 1/10 .

(3) البرهان 2/476 .

(4) انظر : الإتيان 2/256 ، 3/213 ، همع الهوامع 2/129 ، الأشباه والنظائر 2/125 مغني اللبيب 2/

356 ، حروف المعاني عبد الحي حسن كمال ص 74 ودراسات لأسلوب القرآن 3/524 .

(5) سورة النساء 128 .

(6) البرهان 2/476 .

(7) سورة النساء 112 .

(8) مغني اللبيب 2/357 .



## 1 - التخصيص بالتخالف الإعرابي :

في الآية السابقة نجد أن كلمة (الصابرين) اختلفت في علامة الإعراب فتخصص مقصودها، فالنصب فيها على الاختصاص والمدح إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال<sup>(1)</sup>.

وفي ذلك تقوية للمعنى وتكثير، فالصفات عندما تذكر في معرض المدح أو الذم الأحسن أن يخالف في إعرابها؛ لأن المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل؛ لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الإيجاز تكون نوعًا واحدًا<sup>(2)</sup>.

وبحث العلماء عن توجيه نحوي لهذا النصب الذي جاء في المعطوف، فأضمرُوا فعلا في الآية السابقة، فأصبح المعنى عندهم: «أمدح الصابرين»<sup>(3)</sup> أو «أعني الصابرين»<sup>(4)</sup>.

وربما لم يوفق بعضهم في توجيهه النحوي حينما قالوا: إن الصابرين معطوف على (ذوي القربى) كأنه قيل: وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين<sup>(5)</sup>. لأن هذا التوجيه بعيد عن المعنى، وكذلك قد لا يسير مع قواعد التركيب، مما جعل بعضهم يعترض عليه بأنه لا يصلح ذلك إلا أن يكون (والموفون) رفع على المدح للمضميرين «لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول»<sup>(6)</sup>. وبذلك يكونون قد عادوا إلى ما حاولوا الهرب

(1) تفسير الكشاف 1/331، وانظر مشكل إعراب القرآن للقيسي 1/82، وما بعدها، الإنقان 2/274.

(2) البرهان 2/466.

(3) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 2/741، وانظر البرهان 3/198.

(4) انظر: الجمل للخليل بن أحمد الفراهيدي ص 61 معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/232.

(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/232، وانظر البرهان 2/446.

(6) نفسه 1/233.

منه ، فهم هربوا من نصب (الصابرين) على المدح ، فإذا بهم يرفعون (الموفون) على المدح أيضًا.

وكما قلنا إن المخالفة في العلامة الإعرابية - هنا - ليست مخالفة في المعنى ؛ لأن العلامة الإعرابية ليست هي وحدها التي تحدد المعنى وذلك ، « لأن المعنى الدلالي يتحدد بتضافر القرائن والمقام (مقتضى الحال) والمعنى المعجمي ، وقد استغنى النحاة (أحياناً) عن الحركة الإعرابية في قوله : خرق الثوب المسماز ، وذلك لأن القرائن الأخرى فسرت المعنى المطلوب »<sup>(1)</sup>.

وفي الآية السابقة : « (الموفون) معطوف على (من) بقرينة الإسناد والتبعية والرفع وموصولية (ال) فكان ذلك عطف موصول على موصول »<sup>(2)</sup>. ولكن ماذا نقول في (والصابرين)؟ إن قرينتي الإسناد والتبعية - وهما معنويتان - يقولان : إن (الصابرين) معطوفة أيضًا على (من آمن) ولكن القرينة اللفظية وهي الواو (واو الرفع) غير موجودة ؛ إذ حلت محلها الياء ، فكيف يمكن فهم ذلك إلا على أساس إغناء بعض القرائن عن بعض ، فالقرائن تتضافر<sup>(3)</sup>. لإبراز المعنى الدلالي . وإلى جانب هذا التوجيه الذي يتفق من ناحية اللفظ والمعنى لا بد من فهم التركيب على أساس تخصيص (الصابرين) وتقدير شأنهم.

والآية الثانية قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(4)</sup>. فكلمة (المقيمين) معطوفة على (الراسخون) وهذا أمر واضح يستقيم معه المعنى ، ويؤيد ذلك أنها في مصحف

(1) اللغة العربية مبناها ومعناها د . تمام حسان ص 234.

(2) انظر البرهان 450/2.

(3) اللغة العربية مبناها ومعناها ص 235.

(4) سورة النساء 162.

عبد الله (والمقيمين) بالواو<sup>(1)</sup>. وقد قرئت بالواو أيضاً<sup>(2)</sup>.

ولتغاير علامة الإعراب في هذا التركيب العطفي معناه - كما سبق - ولكن بعض العلماء كثيراً ما جاهدوا وأولوا في مثل هذه التراكيب ، وكثير منهم رأى - وهو الصواب - أن كلمة (المقيمين) نُصِبَت على المقطع للمدح<sup>(3)</sup>. أي : قطع الصفة والمغايرة في الإعراب في معرض المدح والتفخيم ، فصار المعنى : وامدح المقيمين الصلاة<sup>(4)</sup>، والمؤتون الزكاة ، أي : وهم المؤتون<sup>(5)</sup>.

ومن التأويلات التي لا تسير مع المعنى قولهم : إن (المقيمين) عُطِفَ على قوله : ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ . وهو مجرور<sup>(6)</sup>. وكذلك قولهم : إن (المقيمين) عُطِفَ على الهاء ، والميم . المعنى : لكن الراسخون في العلم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك<sup>(7)</sup>.

ورد كثير من العلماء ذلك وعده من الخطأ<sup>(8)</sup>. والأساليب الرديئة<sup>(9)</sup> صحيح إن قرينة التبعية التي تحققت بوضوح التعاطف قد أغنت عن العلامة الإعرابية<sup>(10)</sup>. ولكن لهذه المخالفة - كما سبق - مغزى لا يُفسَّر إلا بأن تكون قد

(1) تفسير الكشاف 582/1.

(2) وهي قراءة مالك بن دينار والجدري وعيسى الثقفي ، تفسير الكشاف 582/1.

(3) انظر : التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ، تحقيق : على محمد الجاوي 407/1 ط الخليلي القاهرة 1976 ، البرهان 446/2.

(4) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 741/2.

(5) نفسه 741/2 وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج 112/2.

(6) البرهان 446/2 وانظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 112/2.

(7) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 112/2.

(8) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 741/2 ، وانظر تفسير الكشاف 582/1.

(9) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 112/2.

(10) اللغة العربية معناها للزجاج 112/2.

تضافت مع الواو، فأصبحت كلمة «المقيمين منصوبة على المدح لبيان فضل الصلاة»<sup>(1)</sup>.

ومما هو أكثر خطأ مما سبق ما قاله بعضهم في (والمقيمين) بأنه «خطأ في المصحف سوف تُقَوِّمه العرب»<sup>(2)</sup>، ومثله قولهم: «إنه وهم من الكاتب»<sup>(3)</sup>.

ولقد رد المفسرون هذا الزعم بشدة، فقال الزمخشري: «ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان، وعُجبي عليهم أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام، وذبت المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليسدها من بعدهم وخرما يرفوه من يلحق بهم»<sup>(4)</sup>.

«وقد اتفق الجمهور على قراءة ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ بالياء منصوبا على نحو ما هو مرسوم في المصحف، إلا رواية يونس وهارون عن أبي عمرو لها بالواو، وقراءة الجحدري لها بالواو كذلك، مع محافظته على رسمها بالياء»<sup>(5)</sup>.

وما دامت قراءة العامة قد جاءت موافقة للرسم على هذا النحو، وقد تواترت عن القراء فلا مجال - إذن - للكلام هنا عن الخطأ في الرسم أو القراءة، وخاصة أن النحاة قد تكلموا على ما في الآيتين<sup>(6)</sup> من تخالف إعرابي، ووجهوا ذلك بوجوه كثيرة. رغم أن القراءة إذا صحت روايتها لا ينظر في موافقتها

(1) تفسير الكشاف 1/582.

(2) معاني القرآن وإعراجه للزجاج 2/112.

(3) نفسه 2/112.

(4) تفسير الكشاف 1/582.

(5) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية غانم قدوري الحمد ص 221.

(6) هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

قواعد النحاة، ولا يطلب لها التعليل والمثال من كلام العرب، فصحة روايتها هي نفسها أقوى في الدلالة على علوها في الفصاحة والعربية من التماس قول مجهول، أو شعر منحول لتوجيهها<sup>(1)</sup>.

وأما ما روى مسنداً<sup>(2)</sup> من أن السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها سئلت عن قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾<sup>(3)</sup> وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰغِيُونَ﴾<sup>(4)</sup>. فقالت: هذا عمل الكاتب أخطأ في الكتاب<sup>(5)</sup>، وما أجاب به أبان بن عثمان حين سئل عن ذلك بقوله: من قَبِلَ الكاتب كتب ما قبلها، ثم قال: ما أكتب؟ قيل: اكتب: والمقيمين<sup>(6)</sup> الصلاة. فكتب ما قيل له<sup>(7)</sup>.

فقد قال السيوطي في هذين الأمرين: « وهذه الآثار مشكلة جداً، وكيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن - وهم الفصحاء - ثم كيف يظن بهم ثانياً في القرآن الذي تلقوه عن النبي ﷺ كما أنزل، وحفظوه وضبطوه وأتقنوه؟ ثم كيف يظن بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته؟ ثم كيف يظن بهم رابعاً عدم تنبههم ورجوعهم عنه؟ ثم كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره، ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ، وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف؟ هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة<sup>(8)</sup> ».

(1) رسم المصحف غانم قدوري 221.

(2) انظر إسناد الرواية في: رسم المصحف غانم قدوري ص 213 وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء 183/2.

(3) سورة النساء 162.

(4) سورة المائدة 69.

(5) رسم المصحف غانم قدوري 213.

(6) أي أن كلمة المقيمين: مفعول به منصوب بالياء.

(7) رسم المصحف 213 وانظر خزنة الأدب للبغدادي 126/5.

(8) الإتقان 27/2، الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي بتحقيق أحمد محمد قاسم ص 50 وما

بعدها ط1 القاهرة 1976، وانظر رسم المصحف غانم قدوري ص 212.

الرواية صحيحة، والتوجيه النحوي موجود، أما عن قول عائشة - فهي تقصد بـ(أخطأوا) «أي: في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز»<sup>(1)</sup>.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مِنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

قيل أيضًا في كلمة: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾. مثل ما قيل في: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(3)</sup>. من أنه خطأ في الكتابة، وقد أبطل هذا القول.

وحاول بعض العلماء أن يجد مخرجا نحويا - وإن كان ملتويا - لكي يتخلص من هذا التخالف الإعرابي، فرأى أن «نصب (إن) ضعف، فعطف (الصابغون) على الذين»<sup>(4)</sup> وقد رد هذا التخريج<sup>(5)</sup>.

ورأى بعضهم أن (الصابغون) مبتدأ محذوف الخبر لسد خبر إن مسده ودلالته عليه، ولكن الواو للاعتراض لا للعطف<sup>(6)</sup>.

ورأى بعضهم أن ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ نسق على ما في ﴿هَادُوا﴾. كأنه قال: (هادواهم والصابغون)<sup>(7)</sup> ورد هذا القول أيضًا<sup>(8)</sup>.

(1) الإتيان 72/2 وما بعدها، الاقتراح ص 51، رسم المصحف غانم قدوري ص 216.

(2) سورة المائدة 69.

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 212/2.

(4) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 212/2.

(5) نفسه 212/2 وانظر مشكل إعراب القرآن للقيسي 1/238.

(6) شرح كتاب الكافية في النحو رضي الدين 2/355.

(7) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 212/2.

(8) نفسه 212/2 وما بعدها.

وعده الكسائي عطفًا على موضع إن واسمها، وموضعها الابتداء، وهو مرفوع قبل مجيء الخبر<sup>(1)</sup>.

والذي يتضح من سياق الآية ومعناها أن: ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء، والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم والصابئون والنصارى كذلك أيضًا<sup>(2)</sup>، فيكون ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(3)</sup>.

وتكون فائدة هذا التقديم والتأخير وما نتج عنه من مخالفة في علامة الإعراب «التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم؟ وذلك أن، الصابئين أي هؤلاء المعدودين ضلالًا وأشدّهم غيا»<sup>(4)</sup>. فكان للتخالف الإعرابي متضافرًا مع واو المشاركة فائدة تركيز الضوء على هؤلاء الصابئين الأكثر كفرًا وضلالًا.

إذن فالمغايرة في علامة الإعراب بين المتعاطفين ليست للمدح فقط، وإنما لمعان كثيرة كما رأينا في ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ وقريب من ذلك قراءة النصب<sup>(5)</sup> في كلمة ﴿حَمَالَةً﴾ من قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُنَّ فَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ

(1) مشكل إعراب القرآن للقيسي 238/1، الإنصاف 187/12.

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 212/2، إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 746/2، شرح المفصل لابن يعيش 7/8، الإنصاف 186/1.

(3) تفسير الكشاف 632/1.

(4) نفسه.

(5) قرأ عاصم (حمالة) بالنصب وقرأ الباقون بالرفع (انظر: النشر لابن الجندري 404/2 وانظر: البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري 544/2، التبيان للعسكري 1308/2).

حَمَّالَةَ الْحَطَبِ»<sup>(1)</sup>. فيمن نصب على تقدير: أذم حمالة الحطب»<sup>(2)</sup>.

## 2 - العطف على الموضع :

وقد ناقش سيبويه هذا الأسلوب من المشاركة بواو العطف ، واشترط مراعاة المعنى المراد ، وألا يكون التوجيه الإعرابي في ذلك مخللاً بالمعنى وأسلوب العرب في تركيب الجملة قال : « هذا باب ما يجرى على الموضع لا على الاسم الذي قبله ، وذلك قولك . ليس زيد بجبان ولا بخيلا ، وما زيد بأخيك ولا صاحبك ، والوجه فيه الجر ؛ لأنك تريد أن تشرك بين الخبرين وليس ينقض إجراؤه على المعنى ، وأن يكون آخره على أوله أولى ليكون حالهما في الباء سواء كحالهما في غير الباء مع قربه منه ، وقد حملهم قرب الجوار على أنهم جروا : ( هذا جحر ضب خرب) ونحوه فيكيف ما يصح معناه؟ ومما جاء في الشعر من الإجراء على الموضع قول عقيمة الأسدي :

معاوى إننا بشرٌ فأسجج      فلنسنا بالجبالِ ولا الحديدًا<sup>(3)</sup>  
لأن الباء دخلت على شيء لو لم تدخل عليه لم يدخل بالمعنى ، ولم يُحتج إليها وكان نصبا»<sup>(4)</sup>.

(1) سورة المسد 4.

(2) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 741/2 والتبيان للعكبري 1308/2 ، البيان لأبي البركات الأنباري 544/2/2 ، البرهان 98/3.

(3) ينسب لعقبة بن هيرة الأسد : الكتاب 66/1 جمل الخليل 73 وينسب لعبد الله بن الزبير : انظر معجم شواهد العربية 97/1 والبيت في : مغني اللبيب 477/2 ، المقتضب 112/4 ، ويقول محقق كتاب سيبويه .. « وقد رد على سيبويه رواية البيت بالنصب لأن البيت من قصيدة مجرورة معروفة ، وبعده ما يدل على ذلك وقال الشنتمري يجوز أن يكون البيت من قصيدة أخرى منصوبة ، ويجوز أن يكون سيبويه قد استشهد بلغة المنشد لالغة القصيدة » . هامش الكتاب 66/1 ويقول الأنباري : ليس قول من

قال إن القصيدة مجرورة صحيحا انظر منشور الفوائد للأنباري ص 32.

(4) الكتاب 66/1 ، شرح كتاب سيبويه للسيرافي 401/1 ، المقتضب للمبرد 112/4.

وقد فُزق ابن السراج بين العطف على الموضع والعطف على اللفظ بأن « المعطوف على اللفظ كالشئيين يعمل فيهما عامل واحد ؛ لأنهما كاسم واحد والمعطوف على المعنى يعمل فيهما عاملان ، والتقدير تكرير العامل الثاني إذا لم يظهر عمله في الأول ، وتصير كأنها جملة معطوفة على جملة »<sup>(1)</sup>.

وفضّل ابن هشام فجعل للعطف على الموضع ثلاثة شروط :

- إمكان ظهوره في الفصيح (ألا ترى أنه في ليس زيد بقائم) يمكن أن تسقط الباء فتنصب؟

- أن يكون الموضع بحق الأصالة فلا يجوز (هذا ضارب زيدا وأخيه) لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصل إعماله لا إضافته لالتحاقه بالفعل.

- وجود المحرز - أي وجود الطالب لذلك المحل ، ولذا منع بعضهم : (إن زيدا وعمرو قائمان) وذلك لأن الطالب للرفع في زيد هو الابتداء والابتداء هو التجرد والتجرد قد زال بإن<sup>(2)</sup>.

والباء في قولك : (مررت بزيد وعمرا) لها تقديرين مختلفين لمعنيين مختلفين ، فالباء بعض الفعل من حيث كانت معدية وموصلة له ، وهي أيضا جزء من الاسم من حيث كانت هي ، والاسم في موضع نصب فأنت تعطف على مجموعها بالنصب ، كما تعطف على الجزء الواحد في نحو قولك : ضربت زيدا وعمرا ، وذلك قولك : مررت بزيد وعمرا .

وفي قولك : هذا ضارب زيد وعمرا « تضمّر ناصبا »<sup>(3)</sup> أي : تضمّر فعلا بعد الواو ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الْبَتْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) أصول النحو لابن السراج 65/2.

(2) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي 123/2 ، مغني اللبيب 474/2.

(3) الخصائص 341/1.

(4) سورة الأنعام 96.

« وذلك على إضمار فعل (عامل) يدل عليه المذكور، أي: وجعل الشمس، ويشهد للتقدير في الآية أن الوصف فيها بمعنى الماضي، والماضي المجرد من (أل) لا يعمل النصب، ويوضح لك مضيه قوله تعالى<sup>(1)</sup>: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾<sup>(2)</sup>.

والعطف على الموضع كما أتى في المجرور الذي في موضع نصب يأتي في موضع إن، وقد أجاز ذلك الكوفيون قبل تمام الخبر - والكسائي يجوزه على كل حال سواء كان يظهر فيه عمل إن أو لم يظهر، وذلك نحو: إن زيدا وعمرو قائمان، إنك وبكر منطلقان، والفراء لا يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل إن.

أما البصريون فلم يجوزوا العطف على موضع إن إلا بعد تمام الخبر على كل حال<sup>(3)</sup>.

واحتج الكوفيون بالنقل (وهو عطف الصابئون) على موضع (إن) واحتجوا بالقياس على جوار العطف على الموضع مع (لا) قبل تمام الخبر. أما البصريون فقالوا: (إن) عاملة في الخبر، فكيف يكون فيه عاملان؟<sup>(4)</sup>. وقد رد بعض العلماء قول الكوفيون بالعطف على الموضع في (الصابئون)<sup>(5)</sup>. ورد على قياسهم (إن) على (لا) السابق بأن (إن) تختلف مع (لا) في نقطتين:

« (لا) لا تعمل في الخبر بخلاف (إن) فلم يجتمع في الخبر عاملان لذا جاز

(1) انظر الكتاب 1/171، 172، 174، 191، المنتضب للمبرد 4/154، المقتصد 1/234.

(2) سورة القصص 73.

(3) مغني اللبيب 2/475، وانظر الإتيقان 2/320.

(4) الإنصاف 1/185 وانظر أصول النحو لابن السراج 2/64، 69.

(5) الإنصاف 1/186.

العطف فيها على الموضع.

لو افترض أن (لا) في الخبر مثل (إن) فإن (لا) تدخل على النكرة، فتكون معه كالاسم الواحد، فتعمل عملاً واحداً في الخبر بعكس (إن) فلا تتركب مع الاسم الذي بعدها»<sup>(1)</sup>.

والعطف على الموضع أسلوب من أساليب المشاركة بالواو بين المتعاطفين في المعنى، وللتخالف الإعرابي فيه تبرير عند العلماء، ففي مثل «قولك: إن زيدا منطلق وعمرو أحد وجهي الرفع - وهو الأجود منهما - أن تحمله على موضع (إن) لأن موضعها الابتداء.

فإذا قلت: إن زيدا منطلق. كان معناه: زيد منطلق. ومثل: إن في ذلك الباء ولكن الثقيلة»<sup>(2)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(3)</sup>. أحد وجوه الرفع رفع (رسوله) على الابتداء<sup>(4)</sup>.

أما باقي الحروف (أخوات إن) فيصعب معها ذلك، يقول السيرافي: «لعل وكان وليت يجوز فيهن جميع ما جاز في (إن) إلا أنه لا يرفع بعدهن شيء على الابتداء<sup>(5)</sup>؛ لأن حمل المعطوف على هذه الحروف على الابتداء بغير المعنى الذي أحدثته هذه الحروف من التمني والتشبيه والترجي، فلذلك لم يحملوه على الابتداء، ألا ترى أننا لو قلنا: (ليت زيدا منطلق وعمرو مقيم) على عطف جملة كان (عمرو مقيم) خارجاً عن التمني»<sup>(6)</sup>.

(1) نفسه 186/1.

(2) الكتاب 2/144، 146، المقتضب للمبرد 4/111، 112، شرح المفصل 8/68.

(3) سورة التوبة 3.

(4) الكتاب 2/146.

(5) هامش الكتاب 2/146.

(6) نفسه 2/146.

لأنه لا يبقى معنى الابتداء بها ، فهي مع ما في خبرها بتأويل مفرد<sup>(1)</sup> .  
وكذلك (لكن) الثقيلة ، « لما كان معناها معنى الاستدراك وهو لا يزيل  
معنى الاستئناف ، والابتداء ، جاز العطف على موضعها (كإن) على أنه من  
النحوين من يذهب إلى زوال معنى الابتداء مع (لكن) فلا يجوز العطف على  
موضعها »<sup>(2)</sup> .

والعطف على الموضع لا يجوز في النداء أيضا في مثل : (يا زيد وعمرا) لأن  
زيدا إنما بُني ؛ لأنه منادى مخاطب باسمه ، والصلة التي أوجبت البناء في زيد  
هي التي أوجبت البناء في عمرو ، وهما في ذلك سواء<sup>(3)</sup> ، ولهذا الأسلوب من  
المشاركة أثر في المعنى ، فكما كانت المغايرة في حركة الإعراب في الواو  
والمخصصة لها معاني التخصيص والتمييز ، فإن العطف على الموضع هنا له معنى  
آخر . فمثلا عندما تقول : إن زيدا منطلق وعمرا . أكدت ب(إن) انطلاق زيد ،  
وأكدت أيضا انطلاق عمرو ؛ لأن الواو للمشاركة التامة بين المتعاطفين .

أما إذا قلت : إن زيدا منطلق وعمرو ، فقد أكدت انطلاق زيد ، ولم تؤكد  
انطلاق عمرو ، فالتأكيد ب(إن) لم يصل إلى (عمرو) فكما لم تشرك الواو بين  
عمرو وزيد في ظاهر العلامة الإعرابية ، كذلك لم تشرك بينهما في التوكيد  
الذي وقع على الأول منهما .

وربما كان الذي جعل العلماء يرون أن (إن) و(لكن) لا يغيران معنى الابتداء هو أن  
التوكيد في (إن) تثبيت للمعنى والاستدراك في (لكن) استئناف للمعنى . أما ليت  
وكان ولعل ففيه معنى الشك ؛ لذا فلا معنى للابتداء يصح العطف عليه .

(1) شرح كتاب الكافية في النحو رضي الدين 353/2 .

(2) الإنصاف 207/1 .

(3) أصول النحو لابن السراج 68/2 .

## 3 - العطف على فعل الشرط :

يقول سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله : إن تأتني فتحدثني أحدثك ، وإن تأتني وتحدثني أحدثك ، فقال : هذا يجوز والجزم الوجه ، ووجه نصبه على أنه حمل الآخر على الاسم ، كأنه أراد : إن يكن إتيان فحديث أحدثك ، فلما قبح أن يرد الفعل على الاسم نوى (أن) لأن الفعل معها اسم ، وإنما كان الجزم الوجه ؛ لأنه إذا نصبه كان المعنى معنى الجزم فيما أراد من الحديث ، فلما كان ذلك كان أن يحمل على الذي عمل فيما يليه أولى ، وكرهوا أن يتخطوا من بابه إلى باب آخر إذا كان يريد شيئاً واحداً<sup>(1)</sup> .

ويلاحظ في هذا الأسلوب من أساليب المشاركة بالواو : (إن تأتني وتحدثني أحدثك) . معنى السببية ، فحين تقول : إن تأتني وتحدثني أحدثك . قريب في المعنى من قولك : إن تأتني لتحدثني أحدثك . فالواو هنا قرينة المعنى من لام التعليل .

## 4 - العطف على جواب الشرط :

يقول عبد القاهر الجرجاني : « متى عطف على جواب الشرط بالواو كان ذلك على ضربين :

أحدهما : أن يكونا شيئين يتصور وجود كل واحد منهما دون الآخر ، ومثاله قولك : (إن تأتني أكرمك أعطك وأكسك) .

والثاني : أن يكون المعطوف شيئاً لا يكون حتى يكون المعطوف عليه ، ويكون الشرط لذلك سبباً فيه بوساطة كونه سبباً للأول ، ومثاله : قولك : إذا

(1) الكتاب 87/3 .

رجع الأمير إلى الدار استأذنته وخرجت، فالخروج لا يكون حتى يكون الاستئذان، وقد صار الرجوع سببا في الخروج، من أجل كونه سببا في الاستئذان، فيكون المعنى في مثل هذا على كلامين: نحو إذا رجع الأمير استأذنت، وإذا استأذنت خرجت<sup>(1)</sup>.

فالنوع الثاني مما ذكره عبد القاهر مشاركة الواو العطف في المعنى بين جواب الشرط والمعطوف، ثم يغير المعطوف المعطوف عليه في علامة الإعراب ففي قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ لَهْمٍ وَيَذَرُهُمْ﴾<sup>(2)</sup>. ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ مرفوع على القطع والاستئناف، أما قراءة الجزم (يذرههم)<sup>(3)</sup> فهو عطف على موضع الجزم في جواب الشرط<sup>(4)</sup>.

وبذلك يكون قد اشترك في المعنى مع جواب الشرط فأصبح ضمن الجزاء، ولهذا المعنى اختار الطبري الجزم في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَبْذَرْتُمْ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوهُا وَتُوْتُوهُا أَلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾<sup>(5)</sup>. اختار (ونكفر)<sup>(6)</sup> بالنون والجزم يقول: «فإن قال قائل نسقه على ما بعد الفاء، وقد علمت أن الأفصح من الكلام في النسق على جواب الجزاء الرفع، وإنما الجزم تجويزه؟ قيل: اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه أن التكفير - أعني تكفير الله من سيئات المتصدق - لا محالة داخل فيما وعده الله أن يجازيه به، وأن يكون خبرا مستأنفا أن يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر ص 233 ط 1 القاهرة 1984م.

(2) سورة الأعراف 186.

(3) قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون: وقرأ الباقون بالياء: وقرأ حمزة والكسائي وخلف بجزم الراء، وقرأ الباقون برفعها، النشر لابن الجذري 273/2.

(4) شرح المفصل لابن يعيش 55/7.

(5) سورة البقرة 271.

(6) تفسير الطبري 585/5.

لهم بذلك على صدقاتهم؛ لأن ما بعد الفاء في جواب الجزاء استئناف، فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه في أنه غير داخل في الجزاء، ولذلك من العلة اخترنا جزم ﴿تَكْفِرَ﴾ معطفاً به على موضع الفاء من قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

### 5 - العطف على التوهم:

ويسمى في القرآن: العطف على المعنى<sup>(2)</sup>.

«وقد ظن ابن مالك أن المراد بالتوهم الغلط، وليس كذلك، كما نبه عليه أبو حيان وابن هشام، بل هو مقصد صواب، والمراد أنه عطف على المعنى. أي: جوز العربي في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه، فعطف ملاحظاً له لا أنه غلط في ذلك، ولهذا كان من الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن: إنه عطف على المعنى»<sup>(3)</sup>. وهو قريب في شكله من العطف على الموضوع، ولكنهما يختلفان في أن: «العطف على الموضوع هو باعتبار عمل لم يوجد في المعطوف، إلا أنه مقدر الوجود لوجود طالبه»<sup>(4)</sup>.

أما العطف على التوهم فهو «باعتبار عمل لم يوجد هو ولا طالبه.

نحو: ليس زيد قائماً ولا ذاهب. بجر ذاهب بافتراض أو بتوهم. دخول

الباء في خبر ليس»<sup>(5)</sup>.

وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم، وشرط حسنه كثرة دخوله

(1) تفسير الطبري 585/5.

(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 3/538.

(3) الإنقان 2/321.

(4) البرهان 4/107 والإنقان 2/320.

(5) البرهان 4/113.

هناك ، ولذلك أجازوا قول زهير :

بدا لي أني لست مُدرك ما مَضَى وَلَا سَابِقِ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيًا<sup>(1)</sup>  
 « وخرّج سيبويه والخليل : ﴿ فَأَصْدَقَ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(2)</sup> عليه (أي :  
 العطف على التوهم) وقيل : هو عطف على الموضع (محل أصدق) والتحقيق  
 قول سيبويه هو على توهم أن الفاء لم ينطق بها<sup>(3)</sup>.

ورأى القيسي في هذه الآية أن من حذف الواو عطفه على موضع الفاء ؛  
 لأن موضعها جزم على جواب التمني ، ومن أثبت الواو (أي : في أكون) عطفه  
 على لفظ ﴿ فَأَصْدَقَ ﴾ والنصب في ﴿ فَأَصْدَقَ ﴾ على إضمار أن<sup>(4)</sup>.

« وبعضهم شنع القول بهذا في القرآن على النحويين ، وقال : كيف يجوز  
 التوهم في القرآن؟ وهذا جهل منهم بمبرادهم ، فإنه ليس المراد بالتوهم الغلط ، بل  
 تنزيل الموجود منه منزلة المعلوم كالفاء (كما من) في قوله تعالى :  
 ﴿ فَأَصْدَقَ ﴾ . ليبي على ذلك من الإعراب<sup>(5)</sup>.

وقال الفراء بالعطف على التوهم ثم قال : « وقد يجوز نصبها في قرائتنا ،  
 وإن لم تكن فيها الواو ؛ لأن العرب قد تسقط الواو في بعض الهجاء<sup>(6)</sup> ، كما

(1) ينسب لزهير انظر شرح ديوان زهير ص 287 لتعلب الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1944 ،  
 الكتاب 1/306 ، الإنصاف 1/191 ، مغني اللبيب 2/476 ، الأشباه والنظائر في النحو 2/124 .  
 وينسب أيضا لصرعة الأنصاري انظر : معجم شواهد العربية 1/421 .

(2) سورة المنافقون 10 .

(3) البرهان 4/113 ، الإنقان 2/321 ، مغني اللبيب 2/477 .

(4) انظر : مشكل إعراب القرآن للقيسي 2/737 ، وقد قرأ أبو عمرو وحده (وأكون) بواو انظر : النشر  
 في القراءات العشر لابن الجزري تحقيق : على محمد الضباع 2/388 ، دار الكتب العلمية .  
 بيروت . لبنان . د . ت .

(5) البرهان 4/112 .

(6) انظر ص 25 من التمهيد لهذه الدراسة .

أسقطوا الألف من سليمان وأشباهه، ورأيت في بعض مصاحف عبد الله (فقولا) فقلا بغير واو»<sup>(1)</sup>.

وذهب بعض العلماء إلى أنه من العطف على التوهم قراءة (فتدهنوا) بالنصب<sup>(2)</sup> من قوله تعالى : (ودوا لو تدهنوا فيدهنون)<sup>(3)</sup> حملا على معنى : ودوا أن تدهنوا<sup>(4)</sup>.

### 6 - المشاركة بين الاسم والفعل :

ورأى بعض العلماء أن هذا الأسلوب لا يجوز<sup>(5)</sup>، لأن « كلا من الاسم والفعل له سمات إعرابية متميزة وعوامل خاصة »<sup>(6)</sup>. « وإنما يجوز ذلك إذا كان في الاسم معنى الفعل ؛ قال تعالى : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾<sup>(7)</sup>. على قراءة عاصم، وكذلك قوله تعالى : ﴿صَفَّيْتِ وَيَقْبِضْنَ﴾<sup>(8)</sup>. أي : يصففن ويقبضن ولا يجوز : مررت برجل طويل ويضرب . على العطف ؛ إذ ليس الاسم بتقدير الفعل »<sup>(9)</sup>.

والنحاة يؤولون في التراكيب ويضمرون في محاولة منهم لتحقيق السمات المطلوبة للمعطوف والمعطوف عليه حتى يمكن للواو أن تشرك بينهما، وهم

(1) معاني القرآن للفراء 160/3.

(2) سورة القلم 9.

(3) انظر : التبيان للعكبري 1234/2.

(4) مغني اللبيب 477/2 وبه تفصيل لهذا الأسلوب.

(5) انظر الإتقان 323/2، المدارس النحوية ص 300.

(6) إعراب الجمل وأشباه الجمل 259.

(7) سورة الأنعام 96.

(8) سورة الملك 19.

(9) شرح كتاب الكافية في النحو رضي الدين 328/1.

يختلفون في التأويل؛ فبعضهم يؤول في المعطوف عليه ليصبح ملائماً للمعطوف، كما في الآية السابقة، وبعضهم يرى أن معناها: صفات وقابضات. فهم أعملوا تأويلهم في المعطوف، فجعلوا الأسلوب «عطف جملة على اسم مشتق، ثم تأول الجملة بمشتق»<sup>(1)</sup>. أي: مشاركة بالواو بين اسمين. ومن صور عطف الاسم على الفعل والعكس: عطف اسم الفاعل على يفعل: قال ابن جني: إنه يكون في الواو دون الفاء وأخواتها لأصالة الواو في العطف<sup>(2)</sup>.

ويجوز ذلك لما «بينهما من المضارعة التي استحق بها (يفعل) الإعراب، واستحق بها اسم الفاعل الإعمال، ونقل (يفعل) من الشيع إلى الخصوص بالحرف المخصص، كنقل الاسم من التنكير إلى التعريف بالحرف المعرف، فلذلك جاز عطف كل واحد منهما على صاحبه، وذلك إذا جاز وقوع الآخر في موضع الأول، كقولك: زيد يتحدث وضاحك، زيد ضاحك ويتحدث، وبرجل يتحدث وضاحك؛ لأن (يفعل) مما يوصف به النكرات»<sup>(3)</sup>.

«وإن عطف اسم الفاعل على فعل لم يجز؛ لأنه لا مضارعة بينهما، فإن قربت فَعَلٌ إلى الحال ب(قد) جاز عطف اسم الفاعل عليه»<sup>(4)</sup>.

«فإن كان اسم الفاعل بمعنى (فعل) جاز عطف الماضي عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ﴾<sup>(5)</sup>. لأن التقدير: إن الذين

(1) إعراب الجمل وأشباه الجمل 254.

(2) شرح كتاب الكافية 328/3.

(3) خزنة الأدب 143/5، ما يجوز للشاعر في الضرورة ص 302.

(4) خزنة الأدب 143/5.

(5) سورة الحديد 18.

تصدقوا واللاتي تصدقن»<sup>(1)</sup>.

وأول بعض العلماء (أقرضوا) . فجعلوها اسما ، وقد روا المعنى : « إن المصدقين والمصدقات والمقرضين الله »<sup>(2)</sup>.

وعد بعضهم جملة (أقرضوا الله) جملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها فائدتها الإيهام بتمام الجملة<sup>(3)</sup>.

### 7 - المشاركة بين الفعل الماضي والمضارع :

كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾<sup>(4)</sup> .  
وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ ﴾<sup>(5)</sup> .

ولهذه المغايرة بين المتشاركين معان ودلالات ؛ ففي هذه الآية جعل ما بعد الواو مضارعا ليبين أن الكافرين ما زالوا يصدون ، أي : إن الصد مستمر منهم<sup>(6)</sup> . وهذا المعنى لم يكن ليتحقق لو جعل الفعل المعطوف ماضيا كالمعطوف عليه .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾<sup>(7)</sup> .

نجد علماء العربية يبحثون ويدققون ليصلوا إلى السمات التي سوغت

(1) خزانة الأدب 143/5.

(2) إعراب الجمل وأشباه الجمل 254.

(3) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 686/2 وما بعدها.

(4) سورة الأعراف 170.

(5) سورة الحج 25.

(6) انظر البرهان 333/3.

(7) سورة البقرة 266.

المشاركة بين ﴿أَنْ تَكُونَ﴾ و(أصابه) فقالوا بأن «قوله ﴿أَيُّودٌ﴾ أن يوضع فيه (لو) مكان (أن) فلما صلحت بلو وأن ومعناها جميعا الاستقبال استجازت العرب أن يردوا (فعل) بتأويل (لو) على (يفعل) مع (أن)، فلذلك قال: (فأصابه) وهو في مذهبه بمنزلة (لو) إذا ضارعت (أن) في معنى الجزاء، فوضعت في مواضعها وأجيب (أن) بجواب (لو).

فكأنه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبير<sup>(1)</sup>.

وفي ظني أن ﴿وَأَصَابَهُ﴾ هنا جاءت بصيغة الماضي؛ لكي تؤكد وقوع الإصابة بالكبير في نفوس السامعين فينفرون من حرمان الفقراء، فيكون خوفهم أكبر مما لو كانت بصيغة المضارع؛ لأن الإنسان - والله أعلم - يخاف مما يتأكد وقوعه، أو مما وقع بالفعل، أكثر مما يقال له: إنه سيقع.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾<sup>(2)</sup>.

«جاء بصيغة الماضي في الأخيرين، وكأن الزمان قد انفلت كله ومضى، ووقعت هذه الأحداث العظام، ورأى الناس أهوالها، ثم هو يعرضها عليهم ثانية قصة من الخبر، وحدثا من التاريخ، وفي هذا ما فيه من المعاني والدلالات»<sup>(3)</sup>.

وعطف الأمر على الماضي يعطي نفس الدلالات؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾<sup>(4)</sup>. نجد العلماء

(1) تفسير الطبري 5/550 وانظر معاني القرآن للفراء 1/175.

(2) سورة النبا 18، 19، 20. وتشبهها في ذلك آية الكهف ﴿وَيَوْمَ نَسِىَ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَسَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَايِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

(3) دلالات التراكيب 351.

(4) سورة البقرة 125.

يؤولون ذلك ليحققوا المناسبة بين ما أشركت بينهما الواو بتقدير فعل ماض بعد الواو، فيكون المعنى : وقلنا : اتخذوا<sup>(1)</sup>.

وقد جعل بعض العلماء ذلك من باب حذف المعطوف وحرف العطف<sup>(2)</sup>. ولكن جعل ذلك من الحذف وحتى التقدير أيضا، وإن كان يفيد في تسويغ المشاركة بالواو بين المتعاطفين، إلا أن كل ذلك يجب أن يوضع في الذهن أثناء سماع الجملة؛ لأن الجملة قصدت بهذه المغايرة، وأريد بهذه المغايرة - متضافرة مع الواو - معان ودلالات ما كانت لتحقيق في التركيب بدون كل ذلك.

#### 8 - المشاركة بين الجملة الاسمية والفعلية :

وجوّز بعض العلماء هذا الأسلوب على أن يكون بالواو فقط<sup>(3)</sup>. وفي مثل : قام زيد وعمرا أكرمته (بنصب عمرو) جوّزه بعض العلماء؛ لأن تناسب الجملتين المتعاطفين أولى من تخالفهما<sup>(4)</sup>.

وفي القرآن الكريم : قال تعالى : ﴿يُحَدِّثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾<sup>(5)</sup>. نجد أن هذا الأسلوب كغيره من أساليب المشاركة مع المغايرة بين المتعاطفين له دلالاته ومعانيه المقصودة. ففي هذا التركيب القرآني : « اقتضى المعنى اسمية الجملة المعطوفة للدلالة على أن مضمونها دائم ثابت »<sup>(6)</sup>.

وتعطف الجملة من الفعل والفاعل على التي من المبتدأ والخبر، ومن ذلك

(1) الفصل والوصل في القرآن الكريم 157.

(2) انظر ص 79 من هذا الفصل.

(3) انظر الأشباه والنظائر في النحو 126/4.

(4) مغني اللبيب 585/2.

(5) سورة النساء 142.

(6) دلالات التراكيب، ص 251.

قراءة ابن عباس وابن مسعود: (والسلاسل يسحبون)<sup>(1)</sup> بفتح اللام.  
قال أبو الفتح: التقدير فيه: إذ الأغلال في أعناقهم ويسحبون السلاسل.  
فعطف الجملة من الفعل والفاعل على التي من المبتدأ والخبر<sup>(2)</sup>، ولذلك دلالاته  
ومعانيه.

### 9 - المشاركة بين التكلم والغيبة:

وهذا الأسلوب أيضا من صور المشاركة في المعنى بالواو أيضا، كما في قوله  
تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ﴾<sup>(3)</sup>.  
«فأثرت التنبية على التخصيص بالقدرة والإخبار عن نفسه»<sup>(4)</sup>. وفي قوله  
تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ  
لَهُمُ الرَّسُولُ﴾<sup>(5)</sup>.

«لم يقل: (واستغفرت لهم). وعدل عنه إلى طريق الالتفات؛ لأن في هذا  
الالتفات بيان تعظيم استغفاره، وأن شفاعته من اسمه الرسول بمكان»<sup>(6)</sup>.  
ومن معاني هذا الأسلوب ما يلاحظ في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي  
فَطَّرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(7)</sup>.

أصل الكلام: (وما لكم لاتعبدون الذي فطركم). وعدل عن ذلك للتنبية

(1) سورة غافر 71.

(2) المحتسب لابن جني 244/2.

(3) سورة فصلت 12.

(4) البرهان 319/3.

(5) سورة النساء 64.

(6) تفسير الكشاف 1/538، البرهان 3/128.

(7) سورة يس 22.

على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه<sup>(1)</sup>.

أي : المبالغة . كما في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَتنَ بِرَبِّكُمْ ﴾<sup>(2)</sup> . فائدته العدول عن حكاية حالهم لغيرهم وتعجبه من فعلهم وكفرهم ؛ إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة<sup>(3)</sup> ، ومنه قصد التوبيخ ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ \* وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾<sup>(4)</sup> . قال ذلك دون تقطعتم أمركم بينكم ، كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم<sup>(5)</sup> .

وهذا الأسلوب من أساليب المشاركة بالواو كثير في القرآن الكريم ، ومعانيه غزيرة ودقيقة<sup>(6)</sup> .

#### 10 - المشاركة بين الحرف والاسم :

ومن صور المشاركة بين متعاطفين بالواو - لكل منهما سمات إعرابية خاصة المشاركة في المعنى بين الحرف والاسم .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾<sup>(7)</sup> .

« وصلح في اللغة أن يعطف بـ(على) على قياما وقعودا ؛ لأن (على جنوبهم)

(1) البرهان 3328 .

(2) سورة يونس 22 .

(3) البرهان 3/118 ، 328 .

(4) سورة الأنبياء 93 .

(5) البرهان 3/328 .

(6) يسميه بعض العلماء (الالتفات) انظر تفصيل ذلك في البرهان 3/333 .

(7) سورة آل عمران 191 .

في معنى الاسم ، ومعناه (وقياما) أو مضطجعين<sup>(1)</sup> ، كما أن ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾<sup>(2)</sup> ينبيء على حال من أحوال تصرف الإنسان ، تقول : أنا أسير إلى زيد ماشيا على الخيل ، المعنى : ماشيا وراكبا<sup>(3)</sup> .

وقريب من هذا الأسلوب عطف ما ليس ظرفا على الظرف ، كما في قوله تعالى : ﴿تُورِثُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَٰ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِيهِمْ﴾<sup>(4)</sup> في قراءة بكسر الهمزة في (يايمانهم)<sup>(5)</sup> .

قال ابن جني : « يايمانهم معطوف على قوله : ﴿بَيْنَٰ أَيْدِيهِمْ﴾ . ورأى أن تقديره يسعى كائنا بين أيديهم وكائنا يايمانهم<sup>(6)</sup> .

### ج - المشاركة في الإعراب :

قد تشرك الواو بين متعاطفين في ظاهر العلامة الإعرابية مع بُعد في معنى كل منهما أو استقلال ، وإن كانت بينهما مناسبة ما فهي بعيدة .

صحيح أنه توجد مناسبة بين المتعاطفين ، فأنت لا تقول : زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد ، حتى يكونا كالنظيرين أو الشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عنه أن يعرف حال الثاني<sup>(7)</sup> .

ولذلك عابوا أبا تمام في قوله :

(1) تفسير الطبري 475/7 .

(2) معاني القرآن وأعرابه للزجاج 516/1 .

(3) سورة التحريم 8 .

(4) قرأ بكسر الهمزة سهل بن شعيب . انظر المحتسب 311/2 .

(5) المحتسب 311/2 .

(6) التراكيب النحوية من الوجوه البلاغية ص 136 .

لا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أُنَّ النَّوَى صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ<sup>(1)</sup>  
 وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق  
 لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك<sup>(2)</sup>.

والمعنى مطلوب بين المتعاطفين، ففي قوله تعالى مثلاً: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ  
 جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾<sup>(3)</sup>. في سورة الحج بالواو وفي آية أخرى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا  
 مَنَسَكًا﴾<sup>(4)</sup>. بغير واو:

ففي الأولى: وقعت (الجملة) مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في  
 أمر النساءك فعطفت.

أما الثانية: فواقعة مع أبعاد عن معناها، فلم تجد معطفاً<sup>(5)</sup>.

وقد اهتم البلاغيون بضرورة إبراز التناسب، أو الجامع بين طرفي الكلام  
 المتعاطف، وتنبهوا إلى ما خفي منها، واستعانوا بوجوه من المعرفة غير اللغوية  
 والأدبية لإدراك خوافي نسق الكلام<sup>(6)</sup>.

ففي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ  
 كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٧٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٧٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٨٠﴾﴾<sup>(7)</sup>.  
 إن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء، والجبال والأرض ولا مناسبة؟

(1) ديوان أبي تمام 90/3 دلائل الإعجاز: 223، الإيضاح للقزويني، معجم شواهد العربية 1/355،

شرح التلخيص للقزويني شرح محمد هاشم دويدري 92/1 - دار الجليل بيروت ط 1982. 2.

(2) دلائل الإعجاز 223.

(3) سورة الحج 34.

(4) سورة الحج 67.

(5) تفسير الكشاف 121/3 وانظر: الفصل والوصل 134.

(6) دلالات التراكيب 354.

(7) سورة الغاشية 17: 20.

قلتُ : قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهـم ، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ، ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة<sup>(1)</sup>.

« وفي قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ ﴾<sup>(2)</sup>.

إن قلت : أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلتُ : إن الشمس والقمر سماويان ، والنجم والشجر أرضيان ، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل ، وإن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين ، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله ، فهو مناسب لسجود النجوم والشجر<sup>(3)</sup>.

ولكن قد تبعد هذه المناسبة في حالات يقتضيها أسلوب العرب في تركيب الجمل ، وتختص بفنونهم في التعبير وبالمعاني التي يريدونها من ذلك.

فإذا لاحظنا أن (التحسين) هو المعنى الجامع بين المتعاطفين في قول الشاعر :

إِذَا مَا الْقَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا      وَرَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا<sup>(4)</sup>

وهو الأسلوب الذي سماه العلماء : عطف عامل حذف ، وبقي معموله على عامل آخر مذكور يجمعها معنى واحد<sup>(5)</sup>.

(1) دلالات التراكيب 352.

(2) سورة الرحمن 7.

(3) دلالات التراكيب 353.

(4) ينسب للراعي النميري : معاني القرآن للقرءاء 3/ 191 ، مغني اللبيب 2/ 357 ، شرح شذور الذهب

242 ، همع الهوامع 1/ 122 ، 2/ 130 ، شرح ابن عقيل 353 ، معجم شواهد العربية 1/ 374.

(5) مغني اللبيب 2/ 357 ، همع الهوامع 2/ 129 ، الأشباه والنظائر 2/ 125 ، حروف المعاني عبد الحي

إلا أنه - كما قلنا - قد يبعد هذا المعنى - أو هذا الجامع - وهذا ما يسميه السيوطي « الموصول لفظاً والمفصول معنى »<sup>(1)</sup> وجعل منه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْلُمُ تَأْوِيلُهُ ؛ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِيخُونَ ﴾<sup>(2)</sup> . إذا وصلته يقول : « فإنه على تقدير الوصل يكون (الراسخون يعلمون تأويله) ، وعلى تقدير الفصل بخلافه .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الشعثاء ، وأبي نهيك قالاً : إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة . ويؤيد ذلك كون الآية دلت على ذم متبعي المشابهة ووصفهم بالزيف<sup>(3)</sup> .

وقال ابن الجوزي في كتابه التفسير : قد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة أخرى كأنها معها ، وهي غير متصلة بها ، ومن ذلك : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوهَا أَعْرَآةً أَهْلِهَا آذِلَّةٌ ﴾<sup>(4)</sup> . هذا منتهى قولها . فقال تعالى<sup>(5)</sup> : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ . ويقول : الدكتور محمد أبو موسى . « وقد يكون المقصود بالتشريك في العطف الإعراب فقط ، ولا يتجاوز ذلك إلى المشاركة في المعنى ، وهذا نادر وغريب ؛ إذ إن الكلمة لا تأخذ حكم التي قبلها من ناحية الإعراب فحسب ، والإعراب - كما يقولون - فرع المعنى ، فالمفعول منصوب ؛ لأنه واقع عليه الفعل ، وهذه الحركة هي رمز وقوعه عليه ، وما هنا ليس كذلك ، وإنما هو معمول لفعل لا يتسلط عليه ، كقوله تعالى : ( وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم )<sup>(6)</sup> . في قراءة الجر ،

(1) انظر : النوع التاسع والعشرون من الإتيان 253/1 وما بعدها .

(2) سورة آل عمران 7 .

(3) الإتيان 253/1 .

(4) سورة النمل 34 .

(5) سورة المائدة 6 .

(6) دلالات التراكيب د . محمد أبو موسى /295 .

فعطف الأرجل على الثالث لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها»<sup>(1)</sup>.

«وفي قوله تعالى: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾<sup>(2)</sup> قُرئ (نقر) معطوفا على اللفظ والمعنى مختلف»<sup>(3)</sup>.

وفي الآية السابقة وإن انفصل المتعاطفان إلا أن الجامع موجود بينها، وهو الطهارة والوضوء.

«وفي قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾<sup>(4)</sup>. خفض اللحم والخور على العطف به على الفاكهة إتباعا لآخر الكلام أوله، ومعلوم أن اللحم لا يطاف به، ولا بالخور العين، وإنما أراد ويؤتون بلحم طير»<sup>(5)</sup>.

وهذا كما في:

..... وَرَجَجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا<sup>(6)</sup>.

وكما في:

..... عَلَفْتُهَا تَبْنَا وَمَاءً بَارِدًا<sup>(7)</sup>.

وفي قراءة أبي بن كعب: (وحوورا عينا)<sup>(8)</sup>. أراد الفعل الذي تجده في مثل

(1) دلالات التراكيب د. محمد أبو موسى 295/.

(2) سورة الحج 6.

(3) التبيان للعكبري 933/2.

(4) سورة الواقعة 22.

(5) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 262 وانظر: معاني القرآن للفراء 123/3.

(6) سبق تخريجه ص 11.

(7) «علفتها تبنا وماء باردا حتى غدت همالة عيناها» ينسب لذي الرمة وليس في ديوانه معجم

شواهد العربية 416/1 وانظر: المحتسب 78/2، تفسير الطبري 164/1، مغني اللبيب 632/2،

شرح شذور الذهب 240، معجم الهوامع 130/2.

(8) المحتسب 123/3.

هذا الكلام<sup>(1)</sup>. أي : أراد معنى : ويزوجون حورا عينا<sup>(2)</sup>.

وحتى في أساليب المشاركة التامة بالواو بين المتعاطفين ليس من السهل تحقيق الاتحاد في المعنى بين هذين المتعاطفين ، ففي مثل : ضربت زيدا وعمرا . يمكن أن يكون التشريك في « نوع الفعل لا في كميته وكيفيته ، ألا ترى أنك إذا قلت : ضربت زيدا وعمرا قد يجوز أن تضرب زيدا ضربة واحدة ، وعمرا ضربتين وثلاثا ، فتختلف الكميتان ، وكذلك يجوز أن تضرب زيدا جالسا وعمرا قائما فتختلف الكيفيتان »<sup>(3)</sup>.

وفي قوله تعالى : ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾<sup>(4)</sup>. « أمر معطوف على أمر ليس فرضا وحكما شرعيا ، أما الأمر الثاني (المعطوف) فهو فرض »<sup>(5)</sup>. ومن صور المشاركة بالواو في علامة الإعراب مع استقلال كل من المتعاطفين بمعناه ما نلاحظه من قول سيبويه التالي : « هذا باب ما يختار فيه إعمال الفعل بما يكون في المبتدأ مبنيًا عليه الفعل ، وذلك قولك : رأيت زيدا وعمرا كلمته . وإنما اختير النصب ههنا ؛ لأن الاسم الأول مبني على الفعل ، فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم ؛ إذ كان مبني عليه الفعل ، وليجري الآخر على ما جرى عليه الذي يليه قبله إذا كان لا ينقض المعنى لو بنيته على الفعل ، وهذا أولى من أن يحمل عليه ما قرب جوازه منه »<sup>(6)</sup>.

(1) نفسه 123/3.

(2) المحتسب 309/2 ، معاني القرآن للقراء 123/3.

(3) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي 11/4.

(4) سورة الأنعام 141.

(5) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 335/3.

(6) الكتاب 88/1.

ومن آيات القرآن - أيضا - التي يمكن ملاحظة المشابهة في علامة الإعراب مع استقلال المتعاطفين فيها بالمعنى قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>(1)</sup>. وقدر العلماء فيه: ويعذب الظالمين<sup>(2)</sup>. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾<sup>(3)</sup>. فلم يعطفوا (رهبانية) على (رحمة) حتى لا تأخذ حكمها؛ لذا فقد قدروا فعلا فأصبح المعنى: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها<sup>(4)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن مسألة تقدير الفعل في مثل هذا الأسلوب لا نذكرها إلا لكونها أمورا توضح المعنى، ولكن يجب أن نعلم أن الأسلوب بشكله الحالي بدون تقدير الفعل هو الأسلوب الصحيح الذي يحدد المعنى المراد منه تماما، فهذه الأساليب دلالاتها ومعانيها الخاصة، وإلا أصبحت أساليب عطف عادية ليس فيها ما يلفت النظر، وما يوحي بالمعاني الخاصة المقصودة من السياق.

ومن صور المشاركة بالواو بين متعاطفين في الإعراب دون الحكم الواقع عليهما قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(5)</sup>. فليس المراد النهي عن أن يتقدموا بين يدي رسول الله. وذكر لفظ الجلالة للإشارة إلى أن التقديم بين يدي رسول الله تقديم بين يدي الله، وعلى طريقته قوله تعالى: ﴿لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُودُهُ﴾<sup>(6)</sup>. المعنى لا تحطمنكم جنود سليمان، ولكن في ذكر تحطيم

(1) سورة الإنسان 31.

(2) الكتاب 1/ 88، المحتسب 2/ 344، المقتصد 1/ 237، البرهان 1/ 199.

(3) سورة الحديد 27.

(4) المقتصد 1/ 236.

(5) سورة الحجرات 1.

(6) سورة النمل 18.

سليمان ما ليس في تحطيم جنوده<sup>(1)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾<sup>(2)</sup>. بنصب ﴿جِدَالَ﴾<sup>(3)</sup> على إتياع الكلام بعضه بعضا إعرابا مع اختلاف المعاني<sup>(4)</sup>.

فقد أتبع الجدال لما قبله في الإعراب، مع أنه مختلف معه في الحكم، فالجدال ليس - كما فسره بعضهم - بأنه السباب في الحج؛ لأن الإنسان منهي عن السباب في كل حال، ولكنه بمعنى أنه لا جدال في وقت الحج وأيامه، ويدل على ذلك قول النبي<sup>(5)</sup> - ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق استحق من الله الكرامة»<sup>(6)</sup>.

ومن صور الإتياع في الإعراب مع الاستقلال في المعنى والحكم ما يسمى بالجر على الجوار في العطف، وقد دار حول جوازه نقاش طويل بين العلماء، ولا سيما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(7)</sup>. ولتعلق هذه الآية بأحكام فقهية خاصة بالوضوء:

(1) دلالات التراكيب 294.

(2) سورة البقرة 197.

(3) تفسير الطبري 4/154، قرأ أبو جعفر وابن كثير البصريان (فلا رفت ولا فسوق) بالرفع والتنوين، وكذلك قرأ أبو جعفر (ولا جدال) وقرأ الباقون (ولا جدال) وقرأ الباقون الثلاثة بالفتح من غير تنوين، النشر 2/211.

(4) نفسه 4/154.

(5) في صحيح مسلم بشرح النووي: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» صحيح مسلم بشرح النووي 9/119.

(6) تفسير الطبري 4/154، وانظر التبيان للعكبري فقد اختار النصب في الجميع بعد لا ورأي أنه أقوى لما فيه من نفي الجنس أي العموم. التبيان 1/161.

(7) سورة المائدة 6.

رأى بعض العلماء أن (أرجلكم) جر على الجوار<sup>(1)</sup>. ورفض كثير من العلماء هذه الظاهرة. وقال بعضهم بوقوعها قليلا في النعت ومنعوها في العطف<sup>(2)</sup>.

وفي المثال الذي كثيرا ما استشهدوا به على هذه الظاهرة وهو: هذا جحر ضب خرب. عدّه بعض العلماء شذوذا، وقال عنه ابن جني: «إنه من المحذوف المضاف إليه. أي: هذا جحر ضب خرب جحره»<sup>(3)</sup>.

أما الكوفيون فرأوا أنه يجوز - هذا الأسلوب - واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(4)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(5)</sup>. وقد رد الأنباري ذلك بأنه في الآية الأولى: المشركين معطوف على أهل الكتاب، وفي الثانية: (أرجلكم) معطوف على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾<sup>(6)</sup>.

والجر عطفًا على الجوار قد لا يتناسب مع ما في الواو من الإشعار بالمغايرة؛ لذا فهو قليل في النعت، وفي التوكيد نادر، ولا يكون في النسق؛ لأن العاطف قد يمنع من التجاور<sup>(7)</sup>.

وذكر الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة في دراساته أمثلة من القرآن الكريم على الجر على الجوار في العطف وأتبعها بأقوال المؤيدين كالعكبري وبعض فقهاء الشافعية، وأقوال بعض المعارضين كالنحاة ومنهم ابن هشام<sup>(8)</sup>.

(1) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 1/173، تفسير الكشاف 1/346: 347، تفسير الطبري 4/154.

(2) الإتيان 2/256، الأشباه والنظائر في النحو 1/177، 2/125، دراسات لأسلوب القرآن 3/590.

(3) اللمع في العربية لابن جني، تحقيق: حسن محمد شرف ص 19 ط 1 القاهرة 1979م، وانظر الاقتراح للسيوطي ص 89.

(4) سورة البينة 1.

(5) سورة المائدة 6.

(6) الإنصاف 2/629.

(7) دراسات لأسلوب القرآن 3/596.

(8) نفسه 3/590: 596.